سِلْسِلَةُ رَسَائِلِ رَاحَةِ الأَرْوَاحِ

المجموعة الثانية [6 – 10]

تأليف د. أحمد خضر حسنين الحسن

الرسالة السابعة

إرْضَــاءُ الْإِلَــهِ

في الإكثار مِنَ الْحَمْــدِ لِلّهِ

الحمد ، حَقِيقَتُه وفَضَائِلُه وَفَوَائِدُه وَرُوحَانِيّاتُه والأوقاتُ والمواطِنُ التي يُستحبًّ فيها وقَصَصٌ و اقعيةٌ للذين حَمِدوا اللهَ في السَّراءِ والضراءِ

تأليف

راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ

الدكتور: أحمد خضر حسنين الحسن



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

المقدمة 4

المبحث الأول : حقيقة الحمد وتفاوت الناس فيه 6

المطلب الأول : حقيقة الحمد وعلاقته بالشكر والمدح 7

المطلب الثاني : تفاوت الناس في حمدهم لله تعالى 12

المبحث الثاني : فضائل الباقيات الصالحات من الكتاب والسنة 14

المطلب الأول : فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم 15

المطلب الثاني : فضائل الباقيات الصالحات في السنة المشرفة 19

المبحث الثالث : فضائل الحمد في الكتاب والسنة 25

المطلب الأول : فضائل الحمد في الكتاب العزيز 26

المطلب الثاني : فضائل الحمد في السنة المشرفة 32

المبحث الرابع : حمد الأنبياء والصالحين وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم 38

المطلب الأول : لمحة من حمد الأنبياء وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم 39

المحور الأول : حمد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى وثنائه عليه 40

المحور الثاني : نوح عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه 42

المحور الثالث :حمد موسى عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه 43

المحور الرابع : حمد إبراهيم الخليل عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه 44

المطلب الثاني : حمد الصالحين وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم 46

المبحث الخامس : فوائد الحمد وروحانياته 50

المطلب الأول : فوائد حمد الله تعالى 51

المطلب الثاني : روحانيات حمد الله تعالى 60

المبحث السادس : الأوقات والمواطن التي يُستحب فيها الحمد 67

المبحث السابع : قَصَصٌ و اقعيةٌ للذين حَمِدوا اللهَ تعالى في السَّراءِ 74

الخاتمة : قصائد في حمد الله والثناء على الله تعالى 77

المقدمة

الحمد لله الذي حمِدَ نفسَه في محكم الآيات، وحمده رسلُه و أنبياؤه بأحسن العبارات ، وحمدته ملائكتُه والصالحون من عباده في سائر الأوقات ، بل وشدا بحمده جميع الكائنات ،

اللهمَّ لك الحمدُ كلُّه اللهمَّ لا قابضَ لما بسطتَ ولا باسطَ لما قبضتَ ولا هاديَ لما أضللتَ ولا مضلَّ لمن هديتَ ولا معطِيَ لما منعت ولا مانعَ لما أعطيتَ ولا مقرِّبَ لما باعدتَ ولا مبعِدَ لما قرَّبت اللهمَّ ابسطْ علينا من بركاتِك ورحمتِك وفضلِك ورزقِك [1].

إِلَهِي تَمَّ نُورُكَ فَهَدَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَعَظُمَ حِلْمُكَ فَعَفَوْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَبَسَطْتَ يَدَكَ فَأَعْطَيْتَ رَبَّنَا ، وَجْهُكَ أَكْرَمُ الْوُجُوهِ وَجَاهُكَ خَيْرُ الْجَاهِ، وَعَطِيَّتُكَ خَيْرُ الْعَطِيَّةِ وَأَهْنَأُهَا، تُطَاعُ رَبَّنَا فَتَشْكُرُ، وَتُعْصَى رَبَّنَا فَتَغْفِرُ لِمَنْ شِئْتَ، تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ، وَتَكْشِفُ السُّوءَ، وَتَشْفِي السَّقِيمَ، وَتُنَجِّي مِنَ الْكَرْبِ، وَتَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَتَقْبَلُ التَّوْبَةَ، لا يَجْزِي بِآلَائِكَ أَحَدٌ , وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَكَ قَوْلُ قَائِلٍ [2].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها مغفرة الخطايا والزلات ورفع الدرجات ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين بأفضل الرسالات وأحكم و أيسر التشريعات ، اللّهمَّ صلِّ وسلّم على سيدنا محمد صلاة تقف دونها نهايات الطلبات، ويتبوأ بها أعلى المقامات واجعلنا اللهم ممن أرضاك باتباعه، وأخلص لك في قول الحق واستماعه، وأراد وجهك الكريم بجميع الأعمال الصالحات [3].

وبعد : فإن الله تعالى اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بلواء الحمد يوم القيامة كما في الحديث (أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فخرَ ، وبيدي لِواءُ الحمدِ ولا فخرَ) رواه الترمذي ، ومن خصائص هذه الأمة التي امتازت بها على سائر الأمم ، لذا يعتبر أن من أجلّ نعم الله تعالى على عبده أن يلهمه حمده وشكره والثناء عليه ، فالله تعالى يرضى عمن حمده ، فقد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً فحمِدَ اللهَ عليها ، إلَّا كان ذلِكَ الحمدُ أفضلَ منْ تلكَ النعمةِ) [4].

1- جزء من حديث نبوي قال في مجمع الزوائد (رجاله رجال الصحيح) - (124/6) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد – حديث رقم (538) -الموسوعة الحديثية – الدرر السنية .

2- هذا الدعاء منسوب لسيدنا علي بن أي طالب رضي الله عنه - كتاب الدعاء - محمد بن فضيل الضبي .

3- ابن السَّاعَاتي - مقدمة كتابه نهاية الوصول إلى علم الأصول - بتصرف .

4- صحيح الجامع – للألباني - حديث رقم: 5562 .

وفي الحديث الآخر يقول صلى الله عليه وسلم :(أولُ من يُدْعَى إلى الجنةِ الحَمَّادُونَ الذين يَحْمَدُونَ اللهَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ)[5] .

ومع أن الحمد من أيسر العبادات فلا يوفق لها إلا من وفقه الله تعالى ومن هنا كانت هذه الرسالة ضمن سلسلة راحة الأرواح لبيان حقيقة الحمد وفضائله وفوائده وروحانياته ونماذج من حمْدِ الله تعالى لنفسه وحمد الأنبياء وثنائهم وحمد الصالحين وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم ، وقد سميتها :

إرْضَاءُ الْإِلَـهِ في الإكثارِ مِنَ الْحَمْدِ لِلّهِ

وأرجو أن أكون قد وفقت في اختيار موضوعاتها وفي شرحها وعرضها بما ينفع المسلمين والمسلمات ويرغبهم في الازدياد من حمد الله تعالى والثناء عليه .

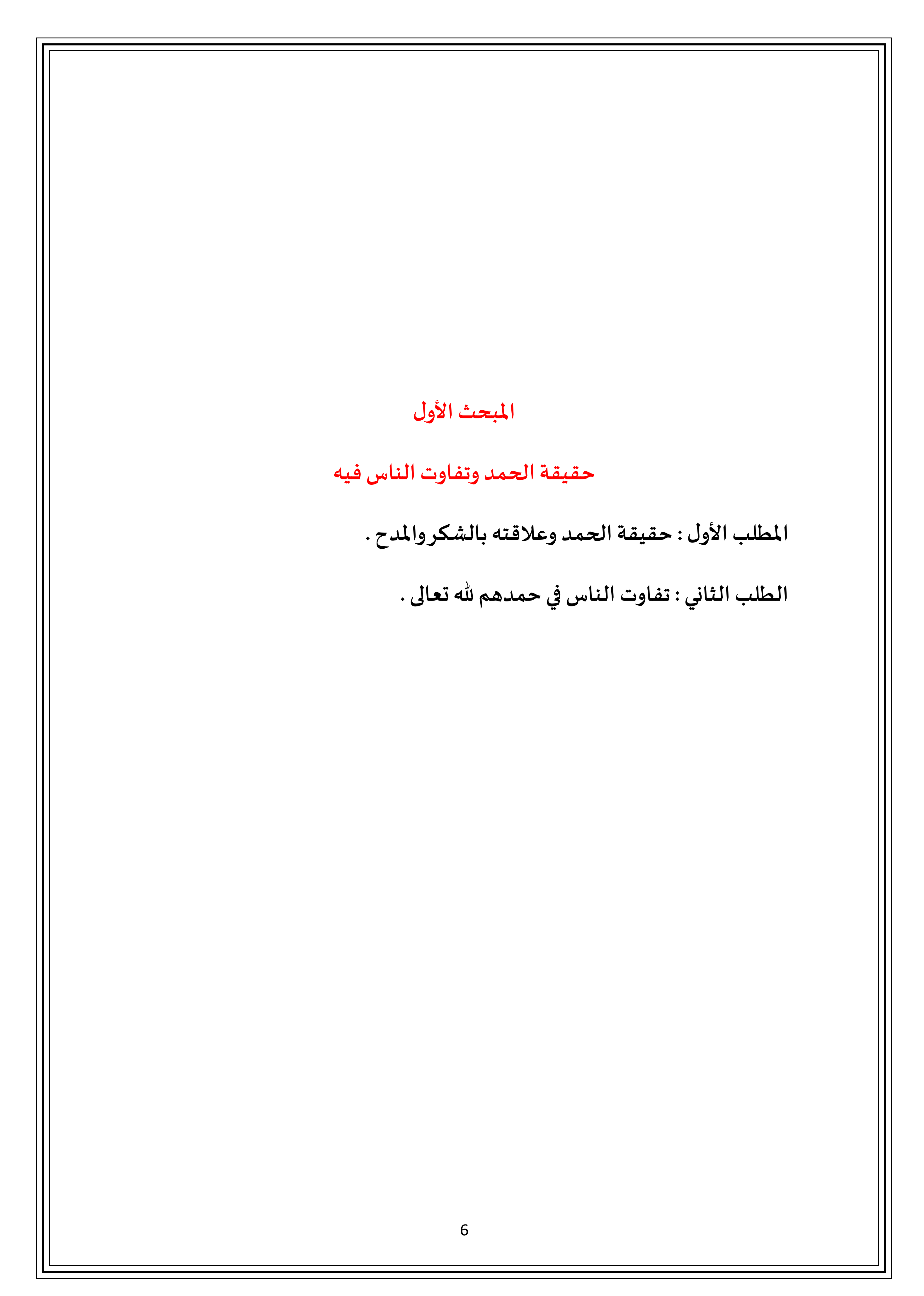
هذا واللهَ الكريمَ أسأل أن ينفعني بهذه الرسالة وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم وأن تكون سبباً في مغفرة ذنبي ورفع درجتي في الجنة وأن يفعل ذلك بالقارئ الكريم والقارئة الكريمة وجزى الله خيراً كل من قرأها ونشرها .

راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ

أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

16/ جمادى الآخرة – 1442 / الموافق 29/ يناير – 2021

5- رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور وعزاه إلى أبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.



المبحث الأول

حقيقة الحمد وتفاوت الناس فيه

المطلب الأول : حقيقة الحمد وعلاقته بالشكر والمدح .

الطلب الثاني : تفاوت الناس في حمدهم لله تعالى .

المطلب الأول

حقيقة الحمد وعلاقته بالشكر والمدح

الحمد في اللغة : مصدر حَمِدَ وهو ضد الذم ومنه المحمدة خلاف المذمة. **وعُرِّف بأنه** : الثناء باللسان على الجميل الاختياري. فيقال: حمدت الرجل أي أثنيت عليه بفعله الجميل الصادر عن اختياره [6] .

هذا ولقد كثرت مشتقاته التي ارتبط أكثرها بحمد الله تعالى خاصة :

ومنها: التحميد وهو أبلغ من الحمد، والمراد به حمد الله مرة بعد مرة. **ومنها:** رجل حمدة وحماد ومحمد، وذلك بأنه يحمد الله مرة بعد مرة، أو أنه كثير الحمد. إلى غير ذلك .

حقيقة الحمد اصطلاحا : الثناء على المحمود، بذكر نعوته الجليلة و أفعاله الجميلة، واللام ها هنا للجنس، ومقتضاها الاستغراق والشمول ؛ فجميع المحامد لله سبحانه إمَّا وصفاً : أعني بذلك الثناء على الله بأوصاف جماله جلاله وكماله فهو الغني الحميد وهو الرؤوف الرحيم وهو صاحب الكبرياء والعظمة .

وإمَّا خَلْقاً : أعني بذلك الثناء على الله بإيجاده للخلق فأحكم إيجادهم وبما أمدهم به من أسباب بقائهم .

فله الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه.

*** * * * * ***

والحمد لله لاستحقاقه لجلاله وجماله، والشكر لله لجزيل نواله وعزيز أفضاله، فحمده سبحانه له هو من صفات كماله وحَوْله، وحمد الخَلْق له على إنعامه وطوْلِه، وجلاله وجماله استحقاقه لصفات العلو، واستيجابه لنعوت العز والسمو، فله الوجود القديم، وله الجود الكريم، **وله الثبوت الأحدي، والكون الصمدي، والبقاء الأزلي، والبهاء الأبدي، والثناء الديمومي، وله السمع والبصر، والقضاء والقدر، والكلام والقول، والعزة والطوْل، والرحمة والجود، والعين والوجه والجمال، والقدرة والجلال، وهو الواحد المتعال، كبرياؤه رداؤه، وعلاؤه سناؤه، ومجده عزه،**

6- لسان العرب – مادة حمد .

وكونه ذاته، وأزله أبده، وقدمه سرمده، وهو الملك بجبروته، والأحد في ملكوته. تبارك الله سبحانه!! فسبحانه ما أعظم شأنه [7].

و أقول لما كثرت أسباب حمده تعالى عجز الخلق عن حمده ، ولهذا قال القشيري رحمه الله تعالى : عَلمَ الحق سبحانه وتعالى شدة إرادة أوليائه بحمده وثنائه، وعجزَهم عن القيام بحق مدحه على مقتضى عزه وسنائه فأخبرهم أنه حَمِد نفسه بما افتتح به خطابه بقوله: (ٱلْحَمْدُ للَّهِ) فانتعشوا بعد الذِّلة، وعاشوا بعد الخمود، واستقلت أسرارهم لكمال التعزز حيث سمعوا ثناء الحق عن الحق بخطاب الحق، فنطقوا ببيان الرمز على قضية الأشكال. وقالوا:

ولوجهها من وجهها قمر   ولعينها من عينها كحل

هذا خطيب الأولين والآخرين، سيد الفصحاء، وإمام البلغاء، لمَّا سمع حمده لنفسه، ومدحه سبحانه لحقِّه، علم النبي صلى الله عليه وسلم أن تقاصر اللسان أليق به في هذه الحالة فقال: " لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك ".[8]

وبناءً على ما سبق بيانه فإن قول القائل: (الحمد لله) يعني الثناء على الله .تعالى .بصفاته الذاتية الكاملة التي لا يشوبها نقص؛ وبنعمه التي لا تعد ولاتحصى.

- ولهذا فإن (أل) التعريف في (الحمد) هي لاستغراق جميع أفراده، واللام في (لله) لام الملك والاختصاص أو الاستحقاق، فجميع أفراد الحمد مختصة بالله تعالى؛ إذ هو المنعم الكامل في صفاته؛ وحمد غيره لا اعتداد به؛ لأن ما صدر منه من نعمة فإنما مرجعها حقيقة إلى الله تعالى، وهو سبحانه الذي أجراها على يديه. فالحمد الكامل الخالص لايكون إلا لله تعالى وهو المستحق له دون سواه [9].

وقال العلامة ابن القيم في فوائده :

وحمده يتضمن أصلين الإخبار بمحامده وصفات كماله والمحبة له عليها فمن أخبر بمحاسن غيره من غير محبة له لم يكن حامدا ، ومن أحبه من غير إخبار بمحاسنه لم يكن حامدا حتى

7- لطائف الإشارات – للقشيري – تفسير سورة الفاتحة .

8- السابق .

9- حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة – تأليف عماد بن زهير حافظ – التمهيد – موقع المكتبة الشاملة الحديثة.

يجمع الأمرين ، وهو سبحانه يحمد نفسه بنفسه ويحمد نفسه بما يجريه على ألسنة الحامدين له من ملائكته و أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، فهو الحامد لنفسه بهذا وهذا فإن حمدهم له بمشيئته وإذنه وتكوينه فإنه هو الذي جعل الحامد حامدا والمسلم مسلما والمصلي مصليا والتائب تائبا فمنه ابتدأت النعم واليه انتهت فابتدأت بحمده و انتهت إلى حمده .

وهو سبحانه غني عن كل ما سواه بكل وجه وما سواه فقير إليه بكل وجه والعبد مفتقر إليه لذاته في الأسباب والغايات فإن مالا يكون به لا يكون وما لا يكون له لا ينفع .

*** * * * * ***

الفرق بين الحمد والمدح : فرق العلماء بين الحمد والمدح بأمور[10]**:**

أولاً : أن **الحمد** يختص بالثناء على الفعل الاختياري للعقلاء،**والمدح** يكون في الاختياري وغيره وللعقلاء وغيرهم كما يقال **مدحت** اللؤلؤة على صفائها .

ثانياً : أن **المدح** يختص بنوع من أنواع الفضائل،وأما **الحمد** فإنه يختص بفضيلة معينة وهي فضيلة الإنعام والإحسان.

ثالثاً : أن **الحمد** يشترط صدوره عن علم لا ظن وأن كون الصفات المحمودة صفات كمال **والمدح** قد يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وإن كان فيها نقص ما.

رابعاً : أن في **الحمد** من التعظيم والفخامة ما ليس في **المدح** وهو أخص بالعقلاء والعظماء وأكثر إطلاقا على الله تعالى.

خامساً : أن **الحمد** إخبار عن محاسن الغير مع المحبة والإجلال **والمدح** إخبار عن المحاسن ولذا كان الحمد إخبارا يتضمن إنشاء والمدح خبرا محضا .

سادساً : أن **المدح** قد يكون منهيا عنه قال عليه الصلاة والسلام : (**احثوا في وجوه المداحين**) أخرجه مسلم ، وأما **الحمد** فإنه مأمور به مطلقا.

سابعاً : أن **الحمد**: الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة لها والرضا بها، **والمدح**: الإخبار بمحاسنه فقط.

10- تفسير الرازي والآلوسي لسورة الفاتحة (بتصرف) .

ثامناً : أن **المدح** لا يكون إلا باللسان، **والحمد** يكون بالقلب بناء على أنه الرضا .

*** * * * * ***

العلاقة بين الحمد والشكر:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : "اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن **الحمد** هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، و**الشكر** لا يكون إلا على الصفات المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان.

ولكنهم اختلفوا: أيهما أعم، الحمد أو الشكر؟ على قولين، والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه.

والحمد أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه، لأنه يكون بالقول والعمل والنية ، كما تقدم، وهو أخص ؛ لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال : شكرته لفروسيته، وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه إليَّ .

هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين ، ولله المثل الأعلى فهو سبحانه الموصوف بالكمال المطلق من كل الوجوه، والله تعالى أعلم".

وقال أبو هلال العسكري رحمه الله تعالى: (الفرق بين الحمد والشكر: **الحمد** هو الثناء باللسان على الجميل، سواء تعلق بالفضائل كالعلم ، أم بالفواضل كالبر . **والشكر**: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لأجل النعمة، سواء أكان نعتا باللسان، أو اعتقادا، أو محبة بالجنان، أو عملا وخدمة بالأركان. **فالحمد أعم مطلقا**، لانه يعم النعمة وغيرها، وأخص موردا إذ هو باللسان فقط ، والشكر بالعكس، إذ متعلقه النعمة فقط، ومورده اللسان وغيره. فبينهما عموم وخصوص من وجه.

فهما يتصادقان في الثناء باللسان على الإحسان، ويتفارقان في صِدق الحمد فقط على النعت بالعلم مثلا، وصدق الشكر فقط على المحبة بالجنان لأجل الإحسان) [11].

11- الفروق اللغوية – للعلامة الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكري– ص (201-202).

فائدة : قال الإمامُ ابن القيم رحمه الله تعالى ما حاصله [12] :

نذكر تقسيما جامعا لهذه المعاني الأربعة؛ أعني الحمد والمدح والثناء والمجد؛ فنقول:

الإخبار عن محاسن الغير له ثلاث اعتبارات: اعتبار من حيث المُخبَر به، واعتبار من حيث الإخبار عنه بالخبر، واعتبار من حيث حال المخبر:

1- فمن حيث الاعتبار الأول ينشأ التقسيم إلى الحمد والمجد، فإن المُخبَر به إما أن يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها، أو من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها، فإن كان الأول فهو المجد، وإن كان الثاني فهو الحمد؛ وهذا لأن لفظ م ج د في لغتهم يدور على معنى الاتساع والكثرة؛ فمنه قولهم: أمجدَ الدابةَ علفا؛ أي أوسعها علفا ، ومنه مجد الرجل فهو ماجد إذا كثر خيره وإحسانه إلى الناس .

2- ومن حيث اعتبار الخبر نفسه ينشأ التقسيم إلى الثناء والحمد؛ فإن الخبر عن المحاسن إما متكرر أو لا، فإن تكرر فهو الثناء، وإن لم يتكرر فهو الحمد، فإن الثناء مأخوذ من الثَّنْيِ؛ وهو العطف وردُّ الشيء بعضه على بعض...فالمثنى مكرر لمحاسن من يثنى عليه مرة بعد مرة .

3- ومن جهة اعتبار حال المخبر: ينشأ التقسيم إلى المدح والحمد؛فإن المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حبٌّ له وإجلال، أو لا،فإن اقترن به الحب [والإجلال] ؛ فهو الحمد، وإلا فهو المدح.

فحصِّلْ هذه الأقسام وميِّزْها؛ ثم تأمّلْ تنزيل قوله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول العبد: "الحمد لله رب العالمين" فيقول الله: "حمدني عبدي"، فإذا قال: "الرحمن الرحيم" ؛ قال: "أثنى علي عبدي"؛ -لأنه كرر حمده- ، فإذا قال: "مالك يوم الدين"، قال "مَجَّدَني عبدي" ، -فإنه وصفه بالملك والعظمة والجلال.

***   * * * *   ***

12- بدائع الفوائد - لابن القيم – بتصرف .

المطلب الثاني

تفاوت الناس في حمدهم لله تعالى

قال القشيري رحمه الله تعالى [13] : وتتفاوت طبقات الحامدين لتباينهم في أحوالهم:

1/ طائفة حمدوه على ما نالوا من إنعامه وإكرامه من نوعي **صفة نفعِه ودفعِه**، وإزاحته وإتاحته، وما عقلوا عنه من إحسانه بهم أكثره ما عرفوا من أفضاله معهم قال جل ذكره:(**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا**) [النحل: 18].

وقوله : (نفعه) أي إيصال المنافع لعبيده من الرزق والخيروالصحةوالعافية ونحوها وقوله : (دفعه) أي يدفع عنهم الأمراض والمضاروالشرورونحوها .

2/ وطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجائب لطائفه، وأودع سرائرهم من مكنونات بره، وكاشف أسرارهم به من خفي غيبه، و أفرد أرواحهم به من بواده مواجده.

قوله (بَوادِهْ مَواجِدِه) أي الأمورالبدهية التي يجدها العبد في قلبه من الإيمانيات والأشواق إلى الآخرة ونحوها .

3/ وقوم حمدوه عند شهود أثار أفعاله وحكمته وتصرفه في الكون، ولم يردوا من ملاحظة العز والكرم إلى تصفح أقسام النعم، وتأمل خصائص القِسَم، و**(فرق بين)** من يمدحه بعز جلاله وبين من يشكره على وجود أفضاله، كما قال قائلهم:

وما الفقرعن أرض العشيرة ساقنا   ولكننا جئنا بلقياك نسعد

4/ قوم حمدوه مُسْتَهْلَكِين عنهم فيما استنطقوا من عبارات تحميده، بما امتلأ به أسرارهم من حقائق توحيده، فهم به منه يعبّرون، ومنه إليه يشيرون، يُجري عليهم أحكام التصريف، وظواهرهم بنعت التفرقة مرعية، وأسرارهم مأخوذه بحكم جمع الجمع.

قوله :(بحكم جمع الجمع) يعني به انجماع القلب على الله تعالى وهو امتلاؤه بالخشوع لجلال الله وعظمته .

13- لطائف الإشارات – تفسيرسوة الفاتحة – بتصرف .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : (ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ ٱلسَّاجِدونَ ٱلآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) سورة التوبة (112) .

قوله جلّ ذكره: (ٱلْحَامِدُونَ) هم الشاكرون له على وجود أفضاله، المُثْنُونَ عليه عند شهود جلاله وجماله.

ويقال: الحامدون بلا اعتراضٍ على ما يحصل بقدرته، وبلا انقباضٍ عما يجب من طاعته.

ويقال الحامدون له على منعه وبلائه كما يحمدونه على نفعه وعطائه.ويقال الحامدون إذا اشتكى مَنْ لا فُتُوَّة له المادحون إذا بكى مَنْ لا مروءةَ له.ويقال الشاكرون له إنْ أدناهم، الحامدون له إن أقصاهم.

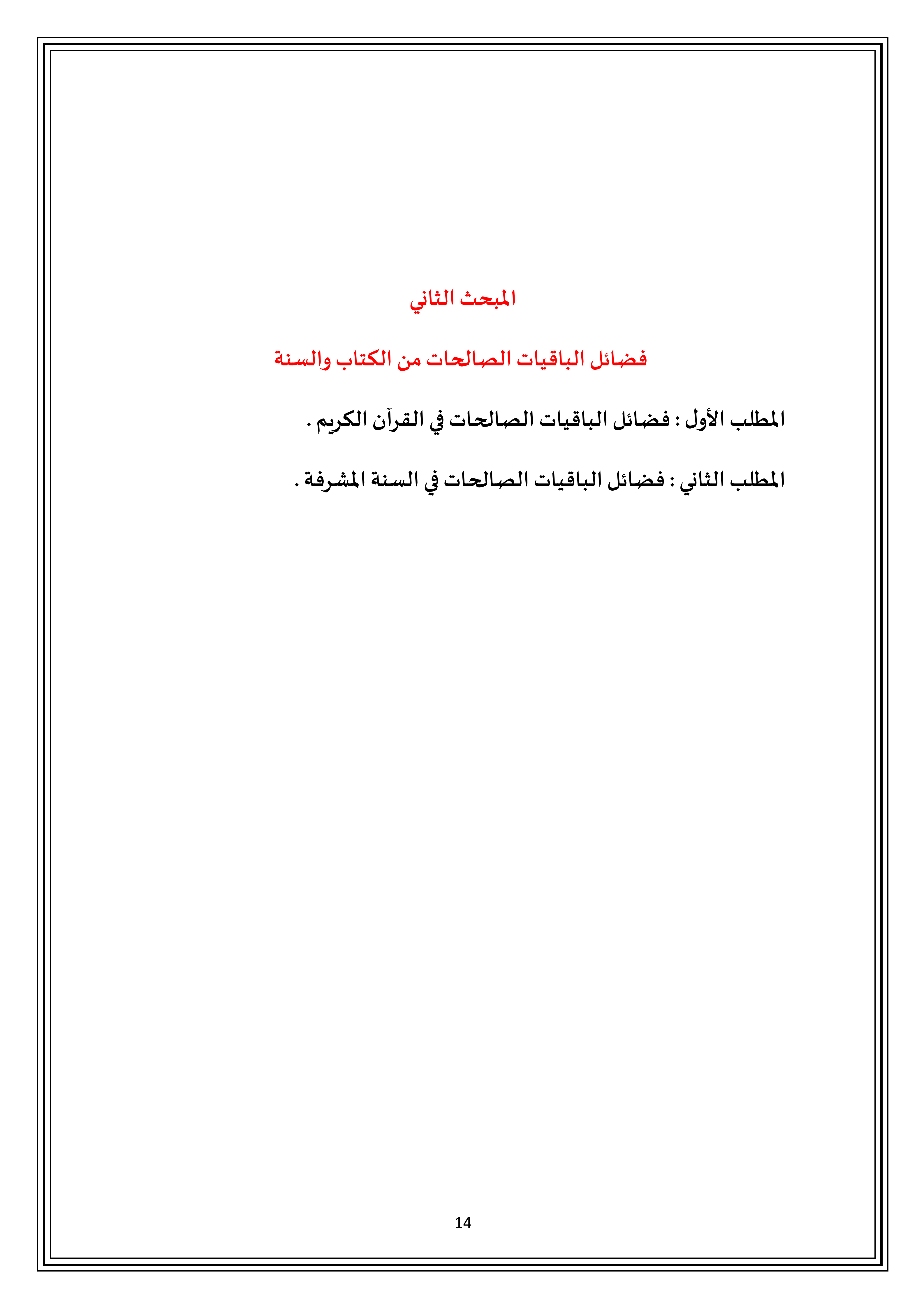
وقال السلمي رحمه الله تعالى : (ٱلْحَامِدُونَ) العارفون نعم الله عليهم في كل خطوة وطرفة عين.

وقيل في تفسيرها : الشاكرون، الصارفون ما أعطاهم الحق من النعم إلى ما أمرهم من المصارف .

وقال الرازي رحمه الله تعالى :

قوله: (ٱلْحَامِدُونَ) وهم الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً ودنيا ويجعلون إظهار ذلك عادة لهم، وقد ذكرنا التسبيح والتهليل والتحميد صفة الذين كانوا يعبدون الله قبل خلق الدنيا، وهم الملائكة، لأنه تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا قبل خلق آدم ونحن نسبح بحمدك، وهو صفة الذين يعبدون الله بعد خراب الدنيا. لأنه تعالى أخبر عن أهل الجنة بأنهم يحمدون الله تعالى، وهو (وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين) [يونس: 10] وهم المرادون بقوله: (ٱلْحَامِدُونَ) .

*** * * * * ***



المبحث الثاني

فضائل الباقيات الصالحات من الكتاب والسنة

المطلب الأول : فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : فضائل الباقيات الصالحات في السنة المشرفة .

لما كانت كلمة الحمد لله إحدى الباقيات الصالحات الخمس كان لا بد من الإشارة في هذا المقام إلى فضائلها من خلال النصوص الواردة في الكتاب والسنة ثم نتعرض فيما بعد إلى فضائل الحمد على وجه الخصوص [14] .

المطلب الأول

فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم

وردت فضائل الباقيات الصالحات في القرآن في موضعين :

الاول قوله تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) سورة الكهف (46) ،

قال جمهور المفسرين : هي الكلمات المأثور فضلها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [15] .

وروى ابن جرير الطبري عن عمارة بن صياد قال: (سألني سعيد بن المسيب رحمه الله عن الباقيات الصالحات ، فقلت: الصلاة والصيام، قال: لم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

و أثر ابن المسيب هذا يوهم أن الباقيات الصالحات محصورة في هؤلاء الكلمات الخمس، والذي عليه المحققون من أهل العلم أن الباقيات الصالحات هن جميع أعمال الخير، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (والباقيات الصالحات) قال: (هي ذكر الله، قول لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله، والصيام والصلاة والحج

14- ذكرت فضائل الباقيات الصالحات بشئ من التوسع مع شرح كثير مما جاء فيها من نصوص في الرسالة الرابعة من هذه السلسلة وهي بعنوان : تَشْـوِيقُ القُلُـوبِ إِلَى ذِكْرِ عَلَّامِ الغُيُـوبِ . وذكرت هنا فائدة ليست موجودة هناك وهي ما ستراه في نهاية التمهيد.

15- كذا قال القرطبي و انظر تفسير الجلالين وتفسير ابن كثير ونَسب هذا القول إلى عطاء ومجاهد ، وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: و أقوال العلماء في الباقيات الصالحات كلها راجعة إلى شيء واحد، وهو الأعمال التي ترضي الله، سواء قلنا: إنها الصلوات الخمس، كما هو مروي عن جماعة من السلف. منهم ابن عباس، وسعيد ابن جبير، و أبو ميسرة، وعمرو بن شرحبيل. أو أنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وعلى هذا القول جمهور العلماء.

والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض) [16].

الثاني قوله تعالى : (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌعِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا) سورة مريم(76) .

قال السعدي رحمه الله تعالى : ومناسبة ذكر الباقيات الصالحات-والله أعلم- أنه لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر، ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله ويرضاه.

*** *** ***

ولنعلم مكانة الباقيات الصالحات تعالوا بنا نستمتع بهذا الكلام الرائع لحجة الإسلام الغزالي -رحمه الله- في تفسيرهذه الكلمات وجه لطيف [17] ، فقال : روي أنّ مَنْ قال : سبحان الله حصل له من الثواب عشر مرات ، فإذا قال : والحمد لله صارت عشرين ، فإذا قال : ولا إله إلا الله صارت ثلاثين ، فإذا قال : والله أكبر صارت أربعين .

قال : وتحقيق القول فيه : أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته ، فإذا قال : سبحان الله فقد عرف كونه سبحانه منزها عن كل ما لا ينبغي ، فحصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة .

فإذا قال مع ذلك : والحمد لله فقد أقرَّبأن الحق سبحانه مع كونه منزَّها عن كل ما لا ينبغي ، فهو المبدأ لإفادة كل ما ينبغي ولإفاضة كل خير وكمال ، فقد تضاعفت درجات المعرفة ، فلا جرم قلنا : تضاعف الثواب .

16- رسالة الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية – للدكتور البدر – ص (69) نسخة إلكترونية في المكتبة الشاملة الحديثة .

17- نقلا عن تفسير الرازي . ولم أجد حديثا فيه الفضل المذكورولكن وجدت حديثا آخر يقرب منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال سبحان الله، كُتبت له عشرون حسنة وحُطَّت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر، فمثل ذلك، ومن قال لا إله إلا الله، فمثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين مِن قِبَل نفسه كُتبت له ثلاثون حسنة وحُطّت عنه ثلاثون سيئة) . قال المنذري في الترغيب: رواه أحمد و ابن أبي الدنيا والنسائي واللفظ له، والحاكم بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم. والحديث صححه الألباني.

فإذا قال مع ذلك : لا إله إلا الله ، فقد أقر بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي ، فهو المبدأ لكل ما ينبغي وليس في الوجود موجود هكذا إلا الواحد ، فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة ، فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة .

فإذا قال : والله أكبر معناه أنه أكبر وأعظم من أن يصل العقل إلى كنه كبريائه وجلاله ، فقد صارت مراتب المعرفة أربعة ، لا جرم صارت درجات الثواب أربعة .

فائدتان :

الفائدة الأولى : اللمسة البيانية في الفرق بين الخاتمتين (وَخَيْرٌ أَمَلًا) ...(وَخَيْرٌ مَرَدًّا) ؟

قال تعالى :(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) الكهف (46) وقال تعالى (ويَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) مريم (76) .

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) أي الجزاء المراد (وَخَيْرٌ أَمَلًا) أي ما يأمله الإنسان (وخير مردا) عاقبة ومرجعا..وقد نتساءل لماذا في سورة الكهف (خير أملا) وفي سورة مريم (خير مردا)؟

فانظر إلى الجمل السابقة لقوله تعالى(وَخَيْرٌ أَمَلًا) :

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) الكهف (46) (مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا) الكهف (35). (فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) الكهف (40) . (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا) (الكهف - 36) .

نلاحظ أن كل الآيات السابقات تشير للأمل .. فالمال والبنون محركات باعثة الامل وقول الرجل كان يبعث للأمل .. فإذا مجيء (أملا) مناسب لسياق الآيات فجاءت تقرأن الباقيات الصالحات هي ما يؤمل به عند الله تعالى وليس المال .

ثم انظر إلى الجمل السابقة لقوله تعالى (وَخَيْرٌ مَرَدًّا) :

(ويَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) ... (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا) مريم (68-69).

(وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)

مريم (71-72)

نلاحظ أن الآيا ت تتحدث عن يوم القيامة ومشاهدها. فناسب قوله (مردا) لان الناس جميعا مردهم الى الله يوم القيامة [18]. والله تعالى أعلم

الفائدة الثانية : ما سر تقديم المال على البنون في قوله تعالى (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) سورة الكهف (46))؟

أجاب الدكتور حسام النعيمى : المال والأنفس والمال والبنون دائماً المال مقدم على البنين وعلى الأنفس. يتقدم ذكر المال على الأولاد وعلى الأنفس حيث وردا مجتمعين في القرآن الكريم والسبب في هذا لأن المال أظهر من الأولاد.

يعني قديماً كان مال فلان يُرى: الأغنام والإبل وما أشبه ذلك والمال يمكن أن يفخر به الإنسان وقد لا يفخر بأولاده فقد يكونا سيئين بحيث لا يستحقون أن يفتخر بهم.

والمال هو الزينة أكثر من الأولاد (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينة المال أظهر من زينة الأولاد وأوضح للناس والمجتمع: يرون المركب الفاره والقصر المنيف يرونه أكثر من رؤية الأولاد.

لكن في موضع واحد وهذا يقتضي أن يُسأل عنه وفي سورة التوبة(111) (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). قدّم الأنفس وسببه واضح لأن التعامل هنا مع الله ومع الله عزوجل وهذا ينبغي أن يقدّم الأسمى.وتقديم المال في آية الكهف ليس لأنه أسمى ولكن لأنه أظهر وأوضح

أما في التعامل مع الله تعالى لا بد أن يقدم النفس. لا شك أن المناسب لما إشتراه الله سبحانه وتعالى لما كان قد وهبه إبتداءً أن يقدم الأعلى (الأنفس). حيثما ورد المال والأنفس يتقدم المال لأنه أظهر.

*** *** ***

18- منقول من ملتقى البيان لتفسير القرآن - بتصرف .

المطلب الثاني

فضائل الباقيات الصالحات في السنة المشرفة

1/ الباقيات الصالحات جُنَّة من النار: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(خُذوا جنَّتكم) قُلْنا : يا رسولَ اللهِ مِن عدوٍّ حضَر؟ فقال : (خُذوا جنَّتكم مِنَ النَّارِ، قولوا سبحانَ اللهِ ، و الحمدُ للهِ ، ولَا إلهَ إلَّا اللهِ ، واللهُ أكبرُ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) [19] .

قوله صلى الله عليه وسلم (فإنَّهُنَّ)، أي: فإنَّ هذه الكَلِماتِ، (يَأْتينَ يومَ القِيامَةِ مُقدِّماتٍ) أي: يَتقدَّمْنَ صاحبَها يومَ القِيامةِ، (ومُعقِّباتٍ)، أي: هُنَّ كلِماتٌ يَأْتي بعْضُها عقِبَ بعْضٍ، (ومُجَنِّباتٍ)، أي: هي التي تكونُ في المَيْمَنةِ والمَيْسَرةِ، فكأنَّهن جَيْشٌ من جِهَةِ قائِلِهِنَّ تَسْتُرْنَهُ عن النارِ.

(وهُنَّ الباقياتُ الصَّالِحاتُ)، أي: باقياتٌ لصاحِبِها وصالحاتٌ لجَزيلِ ثَوابِها في المعادِ وحينَ الحاجَةِ [20] .

2/ الباقيات الصالحات تغرس لقائلها غرساً في الجنة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما الذي تغرس قلت غراسا لي قال : (ألا أدلك على غراس خيرلك من هذا ؟) قال : بلى يا رسول الله قال : (قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبريغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة) [21].

و هذه رسالة الخليل ابراهيم عليه السلام لنا معاشر أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، فعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي فقالَ : يا محمَّدُ ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ ، وأنَّها قيعانٌ ، وأنَّ

19- رواه النسائي واللفظ له والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(3214).

20- الموسوعة الحديثية - الدرر السنية .

21- رواه ابن ماجه و صححه الشيخ الألباني .

غِراسَها سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبرُ) [22]رواه الترمذي و حسنه الشيخ الألباني ،و رواه الطبراني وزاد فيه : (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

3/ الباقيات الصالحات سبب لزيادة للحسنات :

عن أبي هريرة و أبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنَّ اللهَ اصطفى مِنَ الكلامِ أربعًا : سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ، فمَن قال : سبحانَ اللهِ كُتِبَ له عشرون حسنةً وحُطَّتْ عنه عشرون سيِّئةً ومَن قال اللهُ أكبَرُ فمِثْلُ ذلك ومَن قال لا إلهَ إلَّا اللهُ فمِثْلُ ذلك ومَن قال الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ مِن قِبَلِ نفسِه كُتِبَتْ له ثلاثون حسنةً وحُطَّتْ عنه ثلاثون سيِّئةً) [23].

*** *** ***

4/ الباقيات الصالحات سبب لحط الخطايا : عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصنا فنفضه فلم ينتفض ثم نفضه فلم ينتفض ثم نفضه فانتفض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها) [24].

وفي رواية للترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصا فتناثر ورقها فقال : (إن الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة) .وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم : (ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كُفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) رواه أحمد وغيره . فزاد في هذه الرواية (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

22- قوله صلى الله عليه وسلم : "وأخبِرْهم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عَذبةُ الماءِ"، أي: و أبلِغْهم أيضًا أنَّ الجنَّةَ تُربتُها طيِّبةٌ وماؤُها عَذبٌ، "وأنَّها قِيعانٌ"، أي: وأخبِرْهم أنَّ تُربةَ الجنَّةِ قِيعانٌ، جمعُ قاعٍ، أي: أرضٌ مُستوِيةٌ مُتساوِيَةٌ، "وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ"، أي: وأخبِرْهم أنَّ الَّذي يُغرَسُ به في تُربةِ الجنَّةِ التَّسبيحُ والتَّحميدُ والتَّهليلُ والتَّكبيرُ، وهذا مِثلُ قولِه صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَن قال: سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبِحَمدِه، غُرِسَت له نَخلةٌ في الجنَّةِ"؛ فالإكثارُ مِن ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن أجَلِّ الطَّاعاتِ، ومِن أوسَعِ أبوابِ إكثارِ الحَسَناتِ وتَكفيرِ السَّيِّئاتِ، وسَببٌ في دُخولِ الجَنَّاتِ.(الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

23- رواه أحمد وصححه محقق المسند العلامة أحمد شاكر – (227/15).

24- رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

5/ الباقيات الصالحات هي الأثقل في الميزان : عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بخ بخ وأشار بيده (لخمس ما أثقلهن في الميزان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه) [25].

*** *** ***

6/ الباقيات الصالحات أحب الكلام إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم .

قال بعض العلماء : المراد بقوله (ما طلعت عليه الشمس) منذ أن خلقها الله تعالى ، ونقول انظر إلى ما طلعت عليه الشمس في يومك هذا من البنوك والسيارات والمزارع والمصانع .. إلخ فهل يستطيع أحد أن يحصي ذلك ؟ فالباقيات الصالحات خير من ذلك لأنها باقية وما عداها كله إلى زوال .

7/ الباقيات الصالحات تعدل عتق الرقاب والجهاد في سبيل الله بالجياد من الخيل والجمال:
عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني قد كبرت وضعفت ، أوكما قالت ، فمُرني بعمل أعمله و أنا جالسة . قال : (سبّحي اللهَ مائةَ تسبيحةٍ فإنها تعدلُ لك مائةَ رقبةٍ تعتقينها من ولدِ إسماعيلَ واحمدي اللهَ مائةَ تحميدةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ فرسٍ مُسرجةٍ مُلجمةٍ تحملين عليها في سبيلِ اللهِ وكبري اللهَ مائةَ تكبيرةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ بدنةٍ مُقلدةٍ متقبلةٍ وهللي اللهَ مائةَ تهليلةٍ ، قال ابن خلف - الراوي عن عاصم -أحسبه قال : تملأُ ما بين السماءِ والأرضِ ولا يرفعُ يومئذٍ لأحدٍ عملٌ أفضلُ مما يرفعُ لكِ إلا أنْ يأتيَ بمثلِ ما أتيتِ) [26].

*** *** ***

25- رواه النسائي و ابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم .

26- هذا الحديث حسنه جمع من أهل العلم ولا حرج في العمل به، فقد حسنه المنذري والهيثمي فقال فيه المنذري في الترغيب: رواه أحمد بإسناد حسن. اهـ وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفي الأوسط وأسانيدهم حسنة. كما حسنه الدمياطي في المتجر الرابح –(217) .

8/ الباقيات الصالحات يعدِلْن الإنفاق والجهاد وقيام الليل : عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله قسَّم بينكم أخلاقَكم، كما قسَّم بينكم أرزاقَّكم، وإنَّ الله يُعطي الدنيا مَن يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا مَن أحبَّ، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليُكثِر من قول: سبحان الله [والحمد لله] ولا إله إلا الله والله أكبر)[27] .

9/ الباقيات الصالحات تعطي صاحبها قوة بدنية لأداء الأعمال الدينية والدنيوية:

عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَبْيٌ ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ ، فَأَخْبَرَتْهَا ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْنَا ، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا ، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ فَقَالَ (عَلَى مَكَانِكُمَا) . فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ (أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْراً مِمَّا سَأَلْتُمَانِي إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلاَثِين ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ ، فَهْوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ) . رواه البخاري ومسلم .وفي الصحيحين قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه (مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم). قِيلَ لَهُ وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ قَالَ : (وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينِ) .

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى : وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه و سلم على ذلك , كذا أفاده بن تيمية وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب والله اعلم [28].

10/ الباقيات الصالحات يسبق قائلهن غيره بالمواظبة على بعضها بعد الصلوات : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ - أصحاب المال الكثير - مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،

27- أخرجه الإسماعيلي في المعجم (114 / 1)، وقال الألباني: "هذا إسناد صحيح، رجاله على شرط مسلم كلهم، إلا الجوهري - وهو عياش بن محمد بن عيسى أبو الفضل - وقد وثقه الخطيب في التاريخ (279/12)، وتابعه جمع عند الحاكم (33/1)؛ الصحيحة (482/6) رقم: (2714). (نقلا عن مقال : فضائل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وثمارها العظام – بكر البعداني – شبكة الألوكة الشرعية).

28- فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر.

وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: (أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بأمرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ به أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ)، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ). رواه الشيخان وغيرها .

11/ الباقيات الصالحات تقوم مقام الصدقة بالمال : عَنْ أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنَّ ناساً قالوا: يَا رسُولَ اللَّهِ، ذَهَب أهْلُ الدُّثُورِ بالأجُورِ، يُصلُّون كَمَا نُصَلِّى، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أمْوَالِهِمْ قال: (أوَلَيْس قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ؟! إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدقَةً، وكُلِّ تَكبِيرةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَحْمِيدةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدقَةً، وأمرٌ بالمعْرُوفِ صدقةٌ، ونَهْيٌ عنِ المُنْكرِ صدقةٌ وفي بُضْعِ أحدِكُمْ صدقةٌ) قالوا: يَا رسولَ اللَّهِ أيَأتِي أحدُنَا شَهْوَته، ويكُونُ لَه فِيهَا أجْر؟ قَالَ: (أرأيْتُمْ لَوْوضَعهَا فِي حرامٍ أَكَانَ عليهِ وِزْرٌ؟ فكذلكَ إِذَا وضَعهَا فِي الحلاَلِ كَانَ لَهُ أجْرٌ) رواه مسلم.

12/ الباقيات الصالحات تقوم مقام شكر الله على نعمة عافية البدن :

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ علَيْهِ صدَقةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تعدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صدَقةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دابَّتِهِ، فَتحْمِلُهُ علَيْهَا، أوْ ترْفَعُ لَهُ علَيْهَا متَاعَهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطَّيِّبةُ صدَقةٌ، وبِكُلِّ خَطْوَةٍ تمْشِيها إِلَى الصَّلاَةِ صدقَةٌ، وتُميطُ الأذَى عَن الطرِيق صَدَقةٌ) متفق عليه.

قال ابن علان رحمه الله : قوله (كل يوم تطلع فيه الشمس) أتى به دفعاً لتوهم الاكتفاء في أداء شكر نعم هذه الأعضاء بالإتيان بما في الحديث مرة، فنبه على أن ذلك مطلوب من الإنسان كل يوم شكراً لسلامتها فيه .

قوله :(فإنه يمسي يومئذٍ وقد زحزح) أي: باعد (نفسه عن النار) بالتقرّب لمولاه بأنواع الطاعات، وشكر ما أنعم به عليه من إيجاد تلك الأعضاء سالمة. ويلزم من ذلك القيام بالواجبات وترك جميع المحرمات، وهذا هو الشكر الواجب وهو كاف في شكر هذه النعم وغيرها.

أما الشكر المستحبّ فبالزيادة على ذلك بنو افل العبادات القاصرة كالأذكار، والمتعدية كالبذل والإعانة، وليس المراد من الحديث حصر أنواع الصدقة بالمعنى الأعم فيما ذُكِرَ فيه بل التنبيه به على ما بقي منها، ويجمعها كل ما فيه نفع للنفس أو للغير.

فائدة حول علاقة التسبيح بالتحميد [29] :

هؤلاء الكلمات كما أوضح أهل العلم شطران، فالتسبيح قرين التحميد، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم). أخرجاه في الصحيحين .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي ذر: (أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده) .

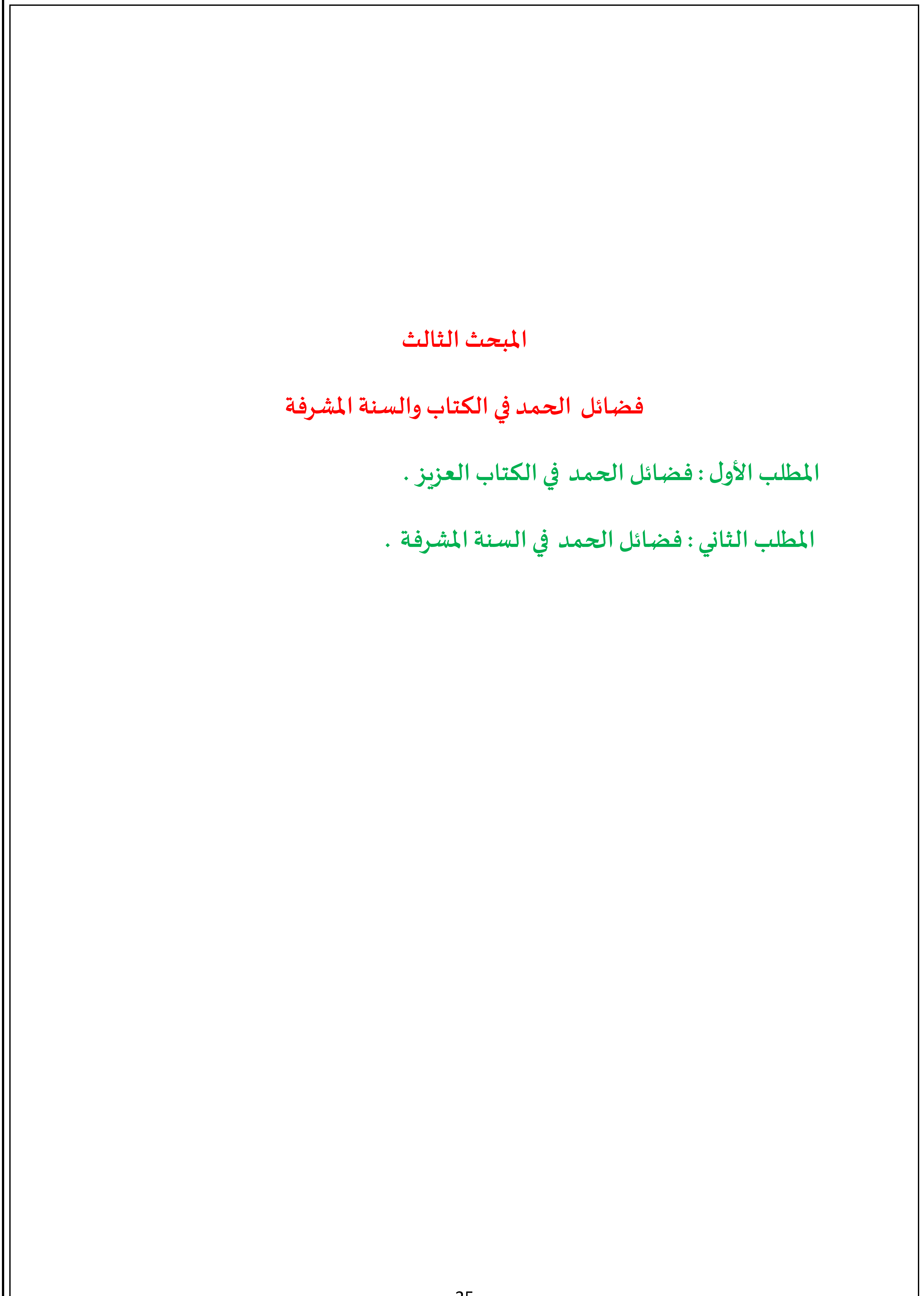
وفي القرآن يقول الله تعالى - حكاية عن الملائكة - : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) سورة البقرة (30)، وقال: (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) سورة النصر، الآية (3)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي)، يتأول القرآن .كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [30].

فجعل قوله: (سبحانك اللهم وبحمدك) تأويلا للآية الكريمة :(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ) سورة النصر (3) ، وقد قال تعالى: (فَاصْبِرْإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْلِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) سورة غافر (55)، وقال: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) سورة الروم، (17- 18) والآثار في اقترانهما كثيرة.

*** * * * * ***

29- خاتمة رسالة دراسات في الباقيات الصالحات - للدكتور عبد الرزاق البدر - بتصرف .

30- صحيح البخاري (رقم:817) ، وصحيح مسلم (رقم:484) .



المبحث الثالث

فضائل الحمد في الكتاب والسنة المشرفة

المطلب الأول : فضائل الحمد في الكتاب العزيز .

المطلب الثاني : فضائل الحمد في السنة المشرفة .

لا يخفى عليك - أخي القارئ الكريم - أن جميع ما سبق ذكره في التمهيد من فضائل الباقيات الصالحات فإن الحمد داخل فيه ولكن ما سأذكره هنا هو عدد من الفضائل التي اختص بها الحمد دون غيره من الأذكار مما ورد في الكتاب والسنة .

ومن ناحية أخرى نجد أن للحمد في القرآن والسنة ذكرا واسعا وفي صور متعددة ولا يمكن الإحاطة بها في مبحث كهذا فقد أفرده البعض بالتأليف ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ولهذا سأشير إلى ما بعض ورد في فضائل الحمد في القرآن [31] والسنة . فأقول ومن الله أرجو العون والقبول :

ها هنا مطلبان :

31- تكرر ذكر الحمد في القرآن في (42) منها :
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢ الفاتحة﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿١ الأنعام﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ﴿٤٣ الأعراف﴾
وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠ يونس﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴿٣٩ ابراهيم﴾
هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥ النحل﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴿١١١ الإسراء﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١ الكهف﴾
فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨ المؤمنون﴾
وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥ النمل﴾
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴿٥٩ النمل﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴿٩٣ النمل﴾
لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠ القصص﴾
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣ العنكبوت﴾
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨ الروم﴾
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥ لقمان﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١ سبإ﴾
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١ سبإ﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴿١ فاطر﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴿٣٤ فاطر﴾
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩ الزمر﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ﴿٧٤ الزمر﴾

المطلب الأول

فضائل الحمد في الكتاب العزيز

من اللافت لقارئ القرآن أنه يجد أن أول كلمة قالها الله تعالى - بعد البسملة - من أنواع ذكر الله تعالى هي (الحمد لله) مستفتحا بها كتابه بل وتكرر ذلك في خمس عشرة موضعا من القرآن الكريم كما تتبعها بعضهم .

وهذا من أكبر الدلائل على فضل الحمد وتقدمه على غيره من الأذكار ولهذا بحث العلماء في سبب حمده سبحانه لذاته تعالى فقيل :

إنه لما علم عجز عباده عن القيام بواجب حمده مع عظم نعمه وآلائه حمد نفسه بنفسه في الأزل، وليدل على كونه محمودا أزلا و أبدا بحمده سواء حمد أو لم يحمد، فهو مستغن بذلك عن حمد الحامدين، وليومئ . أيضا . أنه لا يليق بذاته إلا حمده الصادر عنه سبحانه[32] .

هذه على سبيل العموم وأما كون ذلك الحمد الوارد في سورة الفاتحة على وجه الخصوص فله دلالتان :

الأولى : أن نعمة تنزيل القرآن الكريم هي أعظم النعم الدالة على جلائل صفاته تعالى وكمالها؛ خاصة و أنه قد اشتمل القرآن الكريم على كمال المعنى واللفظ والغاية؛ فكان افتتاحه أولى المواطن بثناء الله تبارك وتعالى على ذاته.وهو في ذات الوقت أمرٌ لعباده بحمده وتذكيرٌ لهم بعظمة وجمال صفات منزله - سبحانه - وجزيل نعمته عليهم بإنزال كتابه عليهم وحفظه وتوفيقهم لتلاوته وسماعه وفهمه؛ إذ فيه سعادتهم في الدارين .

الثانية : كذلك . أنه لما كانت سورة الفاتحة منزلة من القرآن منزلة الديباجة من الكتاب، أو المقدمة للخطبة، جعل افتتاحها بالحمد لله؛ وليكون سنة ماضية من بعد في افتتاح كل كلام مهم وعظيم [33].

*** * * * * ***

32- حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة – المقدمة .

33- السابق – الفصل الأول .

وقال الرازي رحمه الله تعالى في تفسير الفاتحة :

إن الله تعالى لم يقل : أحمد الله ، ولكن قال : (الحمد لله) وهذه العبارة الثانية أولى ؛ لوجوه :

أحدها : أنه لو قال : أحمد الله ، أفاد ذلك كون ذلك القائل قادرا على حمده ، أما لما قال : (الحمد لله) فقد أفاد ذلك أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين ، فهؤلاء سواء حمدوا أولم يحمدوا ، وسواء شكروا أولم يشكروا ، فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم .

وثانيها : أن قولنا الحمد لله ، معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه ، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه و أنواع آلائه على العباد ، فقولنا : الحمد لله معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته ، ولو قال : أحمد الله ، لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد لذاته ، ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقا للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصا واحدا حمده.

وثالثها : أنه لو قال : أحمد الله لكان قد حمد ، لكن لا حمدا يليق به ، وأما إذا قال : الحمد لله ، فكأنه قال : من أنا حتى أحمده ؟ لكنه محمود بجميع حمد الحامدين ، مثاله ما لو سئلت : هل لفلان عليك نعمة ؟ فإن قلت : نعم ، فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ، ولو قلت في الجواب : بل نعمه على كل الخلائق ، فقد حمدته بأكمل المحامد .

ورابعها : أن الحمد عبارة عن صفة القلب ، وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والإجلال ، فإذا تلفظ الإنسان بقوله : أحمد الله مع أنه كان قلبه غافلا عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا ؛ لأنه أخبرعن نفسه بكونه حامدا مع أنه ليس كذلك ، أما إذا قال : الحمد لله ، سواء كان غافلا أو مستحضرا لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقا ؛ لأن معناه أن الحمد حق لله وملكه ، وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلا بمعنى التعظيم والإجلال أولم يكن ، فثبت أن قوله : الحمد لله أولى من قوله : أحمد الله ، ونظيره قولنا : لا إله إلا الله ، فإنه لا يدخله التكذيب ، بخلاف قولنا : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ لأنه قد يكون كاذبا في قوله : أشهد ؛ ولهذا قال تعالى في تكذيب المنافقين : (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) [المنافقون : 1] ولهذا السر أمر في الأذان بقوله : أشهد ، ثم وقع الختم على قوله : لا إله إلا الله .

***   * * * *   ***

ثم إنه تعالى افتتح سوراً أربعة أخر بقوله : (الحمد لله) وهي :

أولها: سورة الأنعام (1) : وهو قوله: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور) واعلم أن المذكور هاهنا قسم من أقسام قوله: رب العالمين لأن لفظ العالم يتناول كل ما سوى الله، والسموات والأرض والنور والظلمة قسم من أقسام ما سوى الله، فالمذكور في أول سورة الأنعام كأنه قسم من أقسام ما هو مذكور في أول سورة الفاتحة، و أيضا فالمذكور في أول سورة الأنعام أنه خلق السموات والأرض، والمذكور في أول سورة الفاتحة كونه ربا للعالمين، وقد بينا أنه متى ثبت أن العالم محتاج حال بقائه إلى إبقاء الله كان القول باحتياجه حال حدوثه إلى المحدث أولى، أما لا يلزم من احتياجه إلى المحدث حال حدوثه احتياجه إلى المبقي حال بقائه، فثبت بهذين الوجهين أن المذكور في أول سورة الأنعام يجري مجرى قسم من أقسام ما هو مذكور في أول سورة الفاتحة.

وثانيها : في سورة الكهف (1) : وهو قوله : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب والمقصود منه تربية الأرواح بالمعارف، فإن الكتاب الذي أنزله على عبده سبب لحصول المكاشفات والمشاهدات، فكان هذا إشارة إلى التربية الروحانية فقط، وقوله في أول سورة الفاتحة: رب العالمين إشارة إلى التربية العامة في حق كل العالمين، ويدخل فيه التربية الروحانية للملائكة والإنس والجن والشياطين والتربية الجسمانية الحاصلة في السموات والأرضين، فكان الحمد المذكور في أول سورة الكهف نوعا من أنواع ما ذكره في أول الفاتحة.

وثالثها: في سورة سبأ (1) : وهو قوله: الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض فبين في أول سورة الأنعام أن السموات والأرض له، وبين في أول سورة سبأ أن الأشياء الحاصلة في السموات والأرض له، وهذا أيضا قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله: الحمد لله رب العالمين.

ورابعها : في سورة فاطر (1) : وهو قوله: الحمد لله فاطر السماوات والأرض والمذكور في أول سورة الأنعام كونه خالقا لها، والخلق هو التقدير، والمذكور في هذه السورة كونه فاطرا لها ومحدثا لذواتها، وهذا غير الأول إلا أنه أيضا قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله: الحمد لله رب العالمين .

*** * * * * ***

ثم إنه تعالى لما ذكر في سورة الأنعام كونه خالقا للسموات والأرض ذكر كونه جاعلا للظلمات والنور، أما في سورة الملائكة - فاطر - فلما ذكر كونه فاطر السموات والأرض ذكر كونه جاعلا الملائكة رسلا، ففي سورة الأنعام ذكر بعد تخليق السموات والأرض جعل الأنوار والظلمات وذكر في سورة الملائكة بعد كونه فاطر السموات والأرض جعل الروحانيات، وهذه أسرار عجيبة ولطائف عالية إلا أنها بأسرها تجري مجرى الأنواع الداخلة تحت البحر الأعظم المذكور في قوله: الحمد لله رب العالمين فهذا هو التنبيه على أن قوله: رب العالمين يجري مجرى ذكر الدليل على وجود الإله القديم.

وقد يسأل سائل : وقع الاهتمام بالحمد مع أن ذكر اسم الله تعالى أهم فكان الشأن تقديم اسم الله تعالى و إبقاء الحمد غير مهتم به حتى لا يلجأ إلى تغييره عن النصب إلى الرفع لأجل هذا الاهتمام ؟.

وجوابه : قدم الحمد لأن المقام هنا مقام الحمد إذ هو ابتداء أولى النعم بالحمد وهي نعمة تنزيل القرآن الذي فيه نجاح الدارين ، فتلك المنة من أكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال لا سيما وقد اشتمل القرآن على كمال المعنى واللفظ والغاية فكان خطوره عند ابتداء سماع إنزاله و ابتداء تلاوته مذكرا بما لمنزله تعالى من الصفات الجميلة ، وذلك يذكر بوجوب حمده وأن لا يغفل عنه ، فكان المقام مقام الحمد لا محالة ، فلذلك قدم وأزيل عنه ما يؤذن بتأخره لمنافاته [ص: 159] الاهتمام . ثم إن ذلك الاهتمام تأتى به اعتبار الاهتمام بتقديمه أيضا على ذكر الله تعالى اعتدادا بأهمية الحمد العارضة في المقام وإن كان ذكر الله أهم في نفسه لأن الأهمية العارضة تقدم على الأهمية الأصلية لأنها أمر يقتضيه المقام والحال ، والآخر يقتضيه الو اقع ، والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال والمقام ، ولأن ما كان الاهتمام به لعارض هو المحتاج للتنبيه على عارضه إذ قد يخفى ، بخلاف الأمر المعروف المقرر فلا فائدة في التنبيه عليه بل ولا يفيته التنبيه على غيره [34].

*** * * * * ***

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء البيان : قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) .

---

[34]- التحرير والتنوير- لابن عاشور .

لم يذكر لحمده هنا ظرفا مكانيا ولا زمانيا ، وذكر في سورة الروم أن من ظروفه المكانية السماوات والأرض في قوله : (وله الحمد في السماوات والأرض) وذكر في سورة القصص أن من ظروفه الزمانية : الدنيا والآخرة في قوله : (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة) ، وقال في أول سورة سبأ : (وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير) ، والألف واللام في (الحمد) لاستغراق جميع المحامد . وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به .

*** * * * * ***

وقوله تعالى : (رب العالمين) لم يبين هنا ما العالمون ، وبين ذلك في موضع آخر بقوله : (قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما) سورة الشعراء (23-24) .

قال بعض العلماء : اشتقاق العالم من العلامة ،لأن وجود العالم علامة لا شك فيها على وجود خالقه متصفا بصفات الكمال والجلال ، قال تعالى : (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) سورة آل عمران (190) ، والآية في اللغة : العلامة . اهـ .

وقال السعدي رحمه الله : وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة .

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

*** * * * * ***

المطلب الثاني

فضائل الحمد في السنة المشرفة

بعد أن ذكرنا ما للحمد من فضائل في القرآن الكريم سنذكر هنا بعون الله تعالى ما ورد من فضائله في الأحاديث النبوية التي حثت عليه وبيَّنت الأجور العظيمة والحسنات المضاعفة الكثيرة المترتبة عليه ، بل جاء في بعض الأحاديث أن العبد قد يصل بالحمد إلى محبة الله تعالى وإلى رضوانه ، وتلك غاية الغايات وأمنية الأمنيات التي يصبو إليها كل مؤمن ، فلبيان ذلك أقول ومن الله أرجو السداد والقبول :

1/ الحمد لله وحدها تملأ الميزان وإذا قُرنت بالتسبيح ملأتا ما بين السموات والأرض : الاستعداد للميزان هو أول اهتمامات المؤمن الذي يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (الطُّهُورُ شطرُ الإيمانِ . والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ . وسبحان اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ - أو تملأُ - ما بين السماواتِ والأرضِ . والصلاةُ نورٌ. والصدقةُ برهانٌ . والصبرُ ضياءٌ . والقرآنُ حُجَّةٌ لك أو عليكَ . كل الناسِ يغدُو. فبايِعٌ نفسَه . فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها) (مسلم:223).

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ) تملأ الميزان لعظم فضلها ووفرة معناها ودلالتها على ثناء العبد على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى و أفعاله الجميلة و افتقاره للغني الحميد كما قال تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً).

فهي كلمة جليلة لا يوفَّق لها في سائر الأحوال إلا من تأله قلبه لله واستكان له وشاهد جميل آلائه وحسن عادته بعباده وأدرك عجز نفسه وفقره إلى الله [35].

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (وسبحان اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ - أو تملأُ - ما بين السماواتِ والأرضِ) المراد أنهما لو كانا أجساما لملآ المساحة الشائعة التي تكون ما بين السماء والأرض وذلك لما اشتملا عليه من معاني التأله والإفتقار والثناء والتنزيه والتعظيم للجليل والتبري من الحول والقوة وهما من أعظم كلمات الذكر وكثيرا ما ينبه الشارع الحكيم على فضل بعض الكلام بربط

35- شرح حديث : (الطهور شطر الإيمان) -خالد بن سعود البليهد – موقع صيد الفوائد .

الأمر المعنوي بالحسي وهذا له نظائر متعددة في السنة الصحيحة ولا يمكن للعقل القاصر أن يدرك كيفية ذلك و إنما عليه التصديق والتسليم من غير اعتراض ولا نجاة وسلامة للمؤمن في هذا الباب إلا بالإيمان الجازم [36].

ولذا فمن أراد أن يثقل ميزانه ويكون من الفائزين فليكثر من التسبيح والتحميد.

*** * * * * ***

2/ الحمد لله ذكر يضاعف الأجور أكثر من ذكر الله الليل مع النهار: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم و أنا أحرك شفتي فقال لي: بأي شيء تحرك شفتيك يا أبا أمامة؟ فقلت: أذكر الله يا رسول الله، فقال: تقولُ : (سبحان اللهِ عدَدَ ما خلق ، سبحان اللهِ مِلْءَ ما خلَق ، سبحان اللهِ عدَدَ ما في الأرضِ [والسماءِ] سبحان اللهِ مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ ، سبحان اللهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه ، سبحان اللهِ مِلْءَ ما أحصى كتابُه ، سبحان اللهِ عدد كلِّ شيءٍ ، سبحانَ اللهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ ، الحمدُ للهِ عددَ ما خلق ، والحمدُ لله مِلْءَ ما خلَق ، والحمدُ لله عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ ، والحمدُ لله مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ ، والحمدُ للهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه ، والحمدُ لله مِلْءَ ما أحصى كتابُه ، والحمدُ للهِ عدَدَ كلِّ شيءٍ ، والحمدُ للهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ) [37].

3/ الحمد لله أفضل الدعاء : لقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن أفضل دعاء يقوله المسلم هو "الحمد لله"، ولذا فهو أكثر السبل تقربا لله سبحانه لنيل المطالب من الله الكريم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : (أفضلُ الذِّكرِ لا إلهَ إلَّا اللهُ و أفضلُ الدُّعاءِ الحمدُ للهِ) [38] .

*** * * * * ***

36- السابق .

37- أخرجه أحمد (22198)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (9994) مختصراً؛ و ابن أبي الدنيا في كما في ((الترغيب والترهيب)) للمنذري (287/2) واللفظ له وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – حديث رقم 1575 (نقلا عن الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

38- أخرجه الترمذي (3383)، و ابن ماجه (3800)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10667) وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم : (1104) .

4/ الحمد لله سبب لنيل العبد رضا الرب : فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (إنَّ اللَّهَ ليرضى عنِ العبدِ أن يأكلَ الأَكْلةَ ، أو يشربَ الشَّربةَ ، فيَحمدَهُ عليها) رواه مسلم .

شرح الحديث : قال العلماء : الرِّضا منه تَعالى يَتَسَبَّبُ عن حَمْدِه المُتَسَبِّبِ عنِ الأَكْلَةِ والشَّرْبَةِ، سُبحانَه ما أَكْرَمَه أَعْطَى المَأْكولَ و أَقْدَرَعلى أَكْلِه وجَعَلَه سائغًا وساقَه إلى عَبْدِه، وأَوْجَدَه مِنَ العَدَمِ ثُمَّ أَقْدَرَه على حَمْدِه، وأَلْهَمَه قَولَهُ وعَلَّمَه النُّطْقَ به، ثُمَّ كان سَببًا لرِضائِه، وهَذا دَليلٌ على أنَّ رِضا اللهِ عزَّوجلَّ قد يُنالُ بأَدْنى سَببٍ؛ فإنَّه يُنالُ بِهذا السَّببِ اليَسيرِولِلهِ الحَمْدُ؛ يَرضى اللهُ عنِ الإنسانِ إذا انْتَهَى مِنَ الأَكْلِ، قال: الحَمْدُ للهِ، وإذا انْتَهى مِنَ الشُّرْبِ قال: الحَمْدُ لِلهِ .

*** * * * * ***

5/ الحمد لله على نعمة الإسلام سبب في مباهاة الله تعالى بالعبد ملائكته : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خَرَجَ مُعَاوِيَةُ علَى حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فَقالَ: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُاللَّهَ، قالَ آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟ قالوا: وَاللَّهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قالَ: أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَما كانَ أَحَدٌ بمَنْزِلَتي مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَقَلَّ عنْه حَدِيثًا مِنِّي، وإنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَ علَى حَلْقَةٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ : ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُاللَّهَ وَنَحْمَدُهُ علَى ما هَدَانَا لِلإِسْلَامِ، وَمَنَّ به عَلَيْنَا، قالَ: آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟ قالوا: وَاللَّهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قالَ: أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فأخْبَرَنِي، أنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُبَاهِي بكُمُ المَلَائِكَةَ) رواه مسلم .

شرح الحديث : قال الحميدي رحمه الله تعالى : (المباهاة: المُفَاخَرَة، وَهِي من الله ثَنَاءٌ وتفضيل)[39] .

وقال النووي رحمه الله تعالى : (إن الله عزَّوجلَّ يباهي بكم الملائكة معناه يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم وأصل البهاء الحسن والجمال وفلان يباهي بماله أي يفخرويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم)[40] .

39- تفسير غريب ما في الصحيحين – الحميدي - (419/1).

40- شرح مسلم – للنووي - (23/17).

/6 صيغة من الحمد تعدل محامد جميع الخلق : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**من قال إذا أوى إلى فراشِه : الحمدُ لله الذي كفَاني وآواني . الحمدُ لله الذي أطعمَني وسقاني . الحمدُ لله الذي منَّ عليَّ و أفضلَ ، اللهمَّ ! إني أسألُك بعزَّتك أن تُنَجِّيَني من النارِ؛ فقد حمِدَ اللهَ بجميعِ محامدِ الخَلْقِ كلِّهم**) [41].

شرح الحديث : (**الحمدُ للهِ الَّذي كفَاني**)، أي: مِن شَرِّ المُؤذِياتِ، (**وآواني**) في مَسكَنٍ يَقيني الحَرَّ والبَرْدَ، (**الحمْدُ للهِ الَّذي مَنَّ عليَّ**)، أي: أنعَمَ عليَّ، (**و أفضَلَ**)، أي: زادَ في المَنِّ والنِّعَمِ، (**اللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُك بعِزَّتِك أنْ تُنجِيَني مِن النَّارِ**)، أي: أسأَلُك بفَضلِك ورَحمتِك، وأحْتَمِي بك مِن النَّارِ، ومِن كلِّ عِلْمٍ أو عَملٍ أو حالٍ يُقرِّبُ إلى النَّارِ أو يُوجِبُها.

(**فقدْ حمِدَ اللهَ بجَميعِ محامِدِ الخلْقِ كلِّهم**)، أي: أدَّى الثَّناءَ على اللهِ بجَميعِ أصنافِ المحامِدِ الَّتي يَحمَدُ بها خلْقُ السَّمواتِ والأرضِ.

/7 الحمد أحب شيء إلى الله تعالى : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**التَّأنِّي من اللهِ والعَجَلةُ من الشَّيطانِ وما أحدٌ أكثرُ معاذيرَ من اللهِ وما من شيءٍ أحبُّ إلى اللهِ من الحمدِ**) [42].

*** * * * * ***

/8 الحمادون هم أفضل العباد يوم القيامة : عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن أفضل عباد الله يوم القيامة الحمادون**)[43].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : من أكثر من قول الحمد لله ، كثر الداعون له . قيل ومن أين قلت ذلك ؟ قال : لأن كل من يصلي يقول سمع لله لمن حمده .

41- أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة - (720)، والحاكم (2001)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (4382) وقال الألباني في السلسلة الصحيحة – حديث رقم (3444) : إسناده صحيح رجاله ثقات- (نقلا عن الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

42- أخرجه أبو يعلى (4256)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (4058) وقال في مجمع الزوائد (8/22) : رجاله رجال الصحيح نقلا عن الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

43- صححه الألباني في صحيح الجامع (الرقم: 1571) .

وقال المناوي رحمه الله : (الحمادون) لله أي الذين يكثرون حمد الله أي وصفه بالجميل المستحق له من جميع الخلق على السراء والضراء فهو المستحق للحمد من كافة الأنام حتى في حال الانتقام [44].

*** * * * * ***

فائدتان :

الأولى : الحمد يتضمن التسبيح : ويتبين ذلك بمعرفة وجه افتتاح الفاتحة بالحمد دون التسبيح مع كون التخلية مقدمة على التحلية .

قال الفخر الرازي رحمه الله : (إن التحميد يدل على التسبيح دلالة التضمن، فإن التسبيح يدل على كونه مبرّءً في ذاته وصفاته عن النقائص والآفات، والتحميد يدل مع حصول تلك الصفة على كونه محسنا إلى الخلق منعما عليهم رحيما بهم، فالتسبيح إشارة إلى كونه تعالى تاما والتحميد يدل على كونه تعالى فوق التمام) [45].

الثانية : إنَّ حمْد العبد لربه أعظم مِن كل نعمة ينعم الله تعالى بها عليه : يقول من القيم رحمه الله تعالى في شرح قول بعضهم (الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده) فإن أريد أن حمد الله والثناء عليه وذكره أجل و أفضل من النعم التي أنعم بها على العبد من رزقه وعافيته وصحته والتوسعة عليه في دنياه فهذا حق يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم (ما أنعم اللهُ على عبدٍ نعمةً فقال الحمدُ للهِ إلا كان الذي أعطاهُ أفضلَ مما أخذ) [46]فإن حمده لوليِّ الحمد نعمة أخرى هي أفضل و أنفع له وأجدى عائدة من النعمة العاجلة فإن أفضل النعم وأجلها على الإطلاق نعمة معرفته تعالى وحمده وطاعته .

فإن أريد أن فعل العبد يكون كفؤ النعم ومساويا لها بحيث يكون مكافئا للنعم عليه وما قام به من الحمد ثمنا لنعمه وقياما منه بشكر ما أنعم عليه به وتوفية له فهذا من أمحل المحال فإن العبد لو أقدره الله على عباده الثقلين لم يقم بشكر أدنى نعمة عليه بل الأمر كما روى الإمام

44- فيض القدير بشرح الجامع الصغير.

45- السابق .

46- : أخرجه ابن ماجه (3805) واللفظ له، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (1357) باختلاف يسير، والبيهقي في شعب الإيمان - (4403) مختصراً ، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه حديث رقم: 3082

أحمد في كتاب الزهد عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال : (قال داود النبي لو أن لكل شعرة مني لسانين تسبحانك الليل والنهاروالدهركله ما قضيت حق نعمة واحدة) [47].

ورحم الله القائل :

ولو أنَّ لي بكلِّ شعرةٍ لسانا يبُثُّ الشكرفيك لقصرا

*** * * * * ***

47/ صيغ الحمد – لابن القيم – نسخة إلكترونية – موقع المكتبة الشاملة الحديثة .

المبحث الر ابع

حمد الأنبياء عليهم والصالحين وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم

المطلب الأول : حمد الأنبياء وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم .

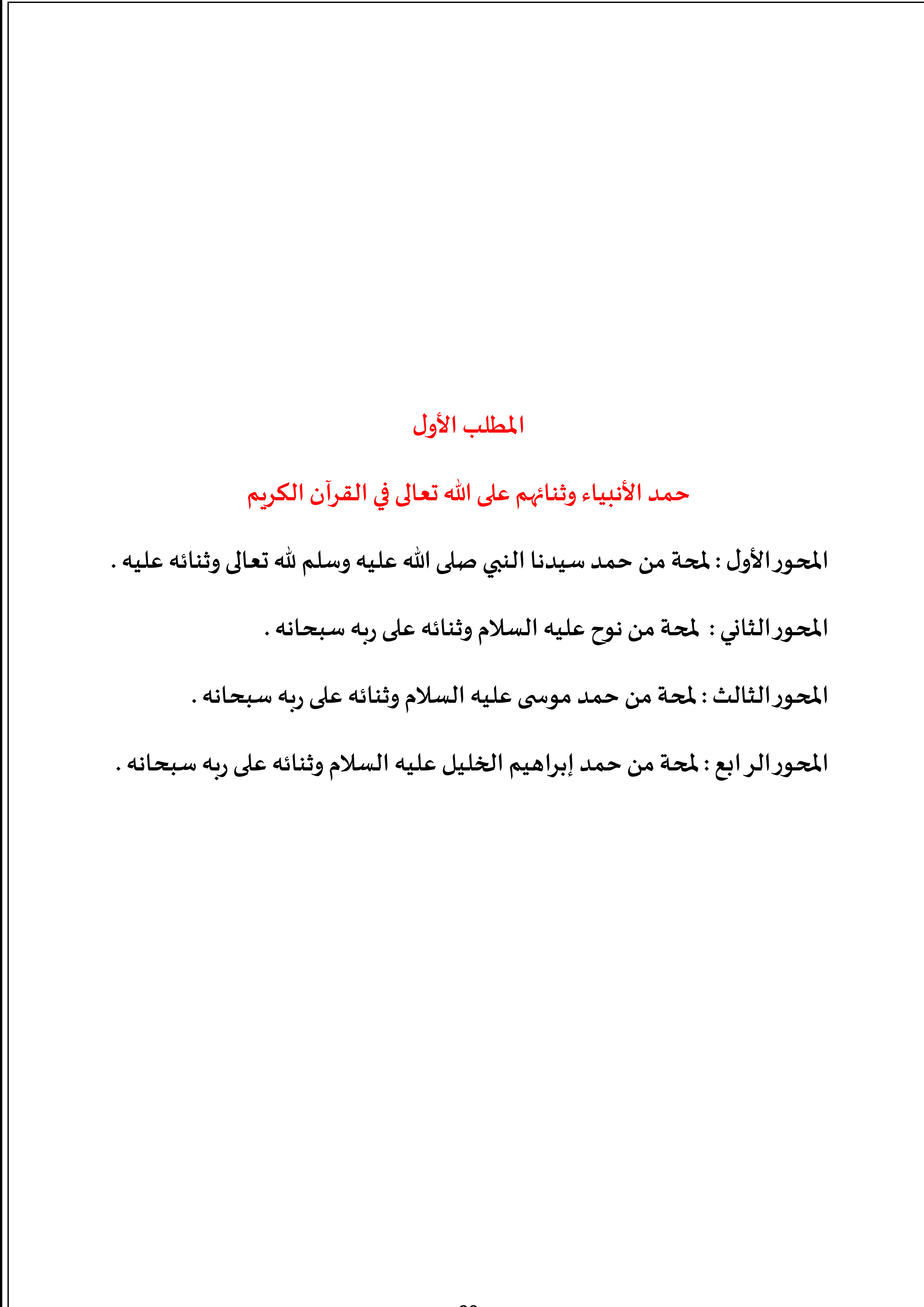
المحورالأول : لمحة من حمد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى وثنائه عليه .

المحورالثاني : لمحة من حمد نوح عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه .

المحورالثالث : لمحة من حمد موسى عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه .

المحورالر ابع : لمحة من حمد إبراهيم الخليل عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه .

المطلب الثاني : حمد الصالحين وثنائهم على الله تعالى .



المطلب الأول

حمد الأنبياء وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم

المحور الأول : لمحة من حمد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى وثنائه عليه .

المحور الثاني : لمحة من نوح عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه .

المحور الثالث : لمحة من حمد موسى عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه .

المحور الرابع : لمحة من حمد إبراهيم الخليل عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه .

لقد نوه الله تعالى بحمد الصالحين له سبحانه وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله تعالى وتسليماته في مواضع كثيرة من كتابه ، ولكن لما كان البحث لا يحتمل التطويل أحببت أن أذكر نماذج مختصرة تدل على المطلوب وترفع الهمم للاقتداء بأولئك القمم [48] :

المحور الأول : لمحة من حمد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى وثنائه عليه [49] :

لقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بالحمد في عدد من الآيات، ومنها :

قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) الإسراء (111) .

وقوله تعالى : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ) النمل(59) .

وقوله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) النمل(93) .

وقوله تعالى : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) لقمان(25) .

وسنقف مع آية واحدة منها وهي قوله تعالى (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) سورة النمل (59) وفيها معان جليلة :

1- أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول : (الحمد لله) أي : على نعمه على عباده ، من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى، وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله و أنبياؤه الكرام ،عليهم من الله الصلاة والسلام ، وهو كقوله تعالى : (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الصافات : 180 - 182] .

2- وقيل : أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمد على ما احتوت عليه القصص السابقة من نجاة الرسل من العذاب الحال بقومهم وعلى ما أعقبهم الله على صبرهم من النصر ورفعة الدرجات . وعلى أن أهلك الأعداء الظالمين .

ونظيره قوله في سورة العنكبوت (63) (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) وقوله في آخر هذه السورة (وَقُلِ

48- مقال : ثناء الأنبياء على الله تعالى (ثناء نوح عليه السلام على ربه سبحانه) - إبراهيم بن محمد الحقيل - مجلة البيان - الأحد - عدد 12 ذو الحجة 1441 هـ ومقال :حمد الصالحين لله في ضوء القرآن الكريم - حمزة شواهنة – مجلة البيان عدد (317) - بتصرف

49- تفاسير القرطبي و ابن كثير والرازي والآلوسي والسعدي - بتصرف .

الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) وكقوله (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

3- وقيل : أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته، وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده . وفيه تعليم حسن ، وتوقيف على أدب جميل ، وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما ، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين ، وإصغائهم إليه ، و إنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع . ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الأدب ، فحمدوا الله وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام كل علم مفاد ، وقبل كل عظة وفي مفتتح كل خطبة ، وتبعهم المؤلفون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني ، وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن .

4- وقيل : أمر له عليه الصلاة والسلام بالحمد على ما خصه جل وعلا به من رفع عذاب الاستئصال عن أمته ومخالفتهم لمن قبلهم ممن ذكرت قصته من الأمم المستأصلة بالعذاب، وبالسلام على الأنبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة.

و أقول : لا شك أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتثل هذا الأمر الإلهي فعاش حَيَاتَهُ شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى، حَامِدًا لَهُ، رَاضِيًا عَنْهُ، مُبَلِّغًا دِينَهُ.

وإن تتبع مواطن حمده صلى الله عليه وسلم سيخرجنا عن موضوع الرسالة ويكفي أن تعلم أنني أحصيت المواطن التي أمر فيها صلى الله عليه وسلم أمته أن يحمدوا الله فيها بلغت الثمانية عشر موطنا ستجدها في المبحث قبل الأخير من هذه الرسالة .

*** * * * * ***

ومما هو معلوم أن من أسمائه الشريفة (أحمد) وقد ورد في القرآن في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) [الصف: 6].

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم (لِي إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أنا مُحَمَّدٌ، و أنا أحْمَدُ، و أنا الماحِي الذي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الكُفْرَ، و أنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمِي، و أنا العاقِبُ) متفق عليه.

ومعنى أحمد صلى الله عليه وسلم أنه أفضل الحامدين لربه سبحانه وتعالى، حيث بلغ درجة من التعبد لله بهذه القربى لم يبلغها أحد قبله، ولن يبلغها أحد بعده، يقول الإمام القرطبي:

"وأحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو اسم علم منقول من صفة لا من فعل، فتلك الصفة أفعل التي يراد بها التفضيل، فمعنى أحمد أي: أحمد الحامدين لربه، والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله، ونبينا أحمد أكثرهم حمدًا ".

ومن هنا نعلم أنه لا أحد من العالمين حمد الله تعالى كما حمده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا بل ولن يصل إلى حمد الله أحد كهو صلى الله عليه وسلم في الآخرة ويدل على ذلك حيث الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود . والله أعلم.

فحري بكل مؤمن أن يكثر من الثناء على الله تعالى بما هو أهله، وأن يلهج بحمده وشكره على آلائه ونعمه اقتداءً بالحبيب صلى الله عليه وسلم، (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الجاثية: 36- 37].

*** * * * * ***

المحور الثاني : لمحة من نوح عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه:

لقد وصفه الله تعالى بالشكر، ومن شكره لربه سبحانه كثرة ثنائه عليه (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الإسراء: 3].

عَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّمَا سُمِّيَ نُوحٌ عَبْدًا شَكُورًا لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَكَلَ وَشَرِبَ حَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ) رواه الطبراني.

فمن ثنائه على ربه سبحانه: إعلانه بربوبية الله تعالى للعالمين، و إقراره لقومه بأنه رسول ناصح يبلغ رسالته، وعنده من العلم بالله تعالى وبعظمته وقدرته وقوته ما لا يعلمه قومه (قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: 61- 62].

ومن ثناء نوح عليه السلام على ربه سبحانه: نفيه علمه للغيب، وإقراره بأن الله تعالى يعلمه ويعلم ما في أنفس الناس، وإثباته الإرادة الكونية لله تعالى، فلا يقع شيء في الكون إلا بأمره حتى الاهتداء والضلال (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) [هود: 31]. إلى أن قال (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[هود: 34].

ومن ثناء نوح عليه السلام على ربه سبحانه : وصفه إياه عز وجل بالمغفرة لمن استغفره، وتعداده نعمه سبحانه على خلقه، مع بيان جملة من مظاهر قدرته تعالى؛ كإنزال المطر، وإنبات الزرع، والإمداد بالأموال والبنين، وخلق السموات والأرضين، والبعث والنشور، وغير ذلك من مظاهر قدرة الله تعالى ونعمته على خلقه **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)** [نوح: 10 - 20].

ومن ثناء نوح عليه السلام على ربه سبحانه: أنه حمد الله تعالى على نجاته والمؤمنين معه من شر الظالمين، وسأله نزولا مباركا، مثنيا عليه بأنه سبحانه خير المنزلين؛ وذلك لأن كل من ينزل ضيفا منزلا فإنما ينزله على قدر جوده وكرمه، والله تعالى هو الغني الكريم **(فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ)** [المؤمنون: 28- 29].

*** * * * * ***

المحور الثالث : لمحة من حمد موسى عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه :

لَمَّا جَمَعَ فِرْعَوْنُ سَحَرَتَهُ لِمُبَارَزَةِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؛ بَارَزَهُمْ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مُثْنِيًا عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِأَنَّهُ مُبْطِلٌ سِحْرَهُمْ، مُزْهِقٌ بَاطِلَهُمْ، وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِقُدْرَتِهِ -سُبْحَانَهُ- (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)[يُونُسَ: 81- 82].

وَأَثْنَى مُوسَى عَلَى رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ- بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فِي مَوَاقِفَ عِدَّةٍ: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[الْأَعْرَافِ: 151]، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ: (أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ)[الْأَعْرَافِ: 155].

وَأَثْنَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَلَى رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ- بِنِعَمِهِ الَّتِي تَابَعَهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَذَكَّرَهُمْ بِهَا، مُبَيِّنًا لَهُمْ زِيَادَتَهُ -سُبْحَانَهُ- لِلشَّاكِرِينَ، وَغِنَاهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ الْعَالَمِينَ **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا**

نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)[إِبْرَاهِيمَ: 6 – 8].

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَثْنَى مُوسَى عَلَى رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ- بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ، مِمَّا يَسْتَوْجِبُ شُكْرَهُ -سُبْحَانَهُ-، وَاتِّبَاعَ رُسُلِهِ وَطَاعَتَهُمْ، وَتَنْفِيذَ أَوَامِرِ اللَّهِ -تَعَالَى- إِلَيْهِمْ **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)**[الْمَائِدَةِ: 20]، وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَكَلُوا عَنْ ذَلِكَ، وَكَفَرُوا النِّعْمَةَ، وَخَالَفُوا الْأَمْرَ الرَّبَّانِيَّ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِالتِّيهِ فِي الْأَرْضِ.

وَمِمَّا قَصَّهُ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَيْنَا مِنْ سِيرَةِ مُوسَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَتَعَلَّمُ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِمَا هُوَ أَهْلُهُ فِي مَوَاطِنِ تَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُنَاظَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ، وَفِي مَوَاطِنِ تَرَادُفِ النِّعَمِ لِتَحْقِيقِ الشُّكْرِ، وَفِي مَوَاطِنِ تَتَابُعِ الْمِحَنِ لِالْتِزَامِ الصَّبْرِ، وَفِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا. عَسَى أَنْ نَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ الصَّابِرِينَ.

*** * * * * ***

المحور الرابع : لمحة من حمد إبراهيم الخليل عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه:

سِيرَةُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِيرَةٌ حَافِلَةٌ بِالْأَحْدَاثِ، مَمْلُوءَةٌ بِالْمُنَاظَرَاتِ وَالْمُحَاوَرَاتِ؛ فَقَدْ نَاظَرَ الْمَلِكَ الْبَابِلِيَّ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَنَاظَرَ الصَّابِئَةَ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلْكَوَاكِبِ، كَمَا نَاظَرَ قَوْمَهُ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلْأَصْنَامِ، وَحَاوَرَ أَبَاهُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ. وَكُلُّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ.

فَفِي دُعَاءِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ -وَهُوَ يَبْنِي الْبَيْتَ الْحَرَامَ- أَثْنَى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّمْعِ وَالْعِلْمِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ: قال تعالى : **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [الْبَقَرَةِ: 127 - 129].

وَفِي مَقَامٍ آخَرَ دَعَا الْخَلِيلُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَبِالرَّحْمَةِ وَبِعِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ

: وَبِسَمَاعِهِ سُبْحَانَهُ لِلدُّعَاءِ وَاسْتِجَابَتِهِ، وَحَمِدَ الْخَلِيلُ رَبَّهُ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنَ الْوَلَدِ فِي كِبَرِهِ قال تعالى : **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌرَحِيمٌ)** [إِبْرَاهِيمَ: 35- 36]. إِلَى أَنْ قَالَ فِي دُعَائِهِ : **(رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)** [إِبْرَاهِيمَ: 38].

ومما عرَضه القرآن الكريم عن حمْد الخليل عليه السلام لربِّه عزوجل، وذلك في مَعرِض ثنائه

- عليه السلام - على الله عز وجل على هِبَة الولد الصالح، فقال إبراهيم - عليه السلام - : **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)** [إبراهيم: 39].

*** * * * * ***

المطلب الثاني

حمد الصالحين وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم

الغرض من هذا الرسالة كلها بيان حمد الصالحين لربهم في الدنيا وما يتعلق به من حِكَم وأحكام ، وأما ساذكره في هذا المطلب فهو حمدهم لربهم في الآخرة ، وبالتأمل في القرآن تجد للحمد أسباب ، منها :

1- يشير القرآن الكريم إلى حمْد المؤمنين لربهم عزوجل عند خروجهم من القبور، كما في قوله عزوجل:(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا)[الإسراء: 52].

قال الرازي رحمه الله : قوله: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) فهو خطاب مع المؤمنين لا مع الكافرين لأن هذا الكلام هو اللائق بالمؤمنين لأنهم يستجيبون لله بحمده، ويحمدونه على إحسانه إليهم .

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ) الدعاء: النداء إلى المحشر بكلام تسمعه الخلائق، يدعوهم الله تعالى فيه بالخروج. وقيل: بالصيحة التي يسمعونها فتكون داعية لهم إلى الاجتماع في أرض القيامة.

قال صلى الله عليه وسلم: (إنكم تُدْعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم).

(فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) أي باستحقاقه الحمد على الإحياء. وقال أبو سهل: أي والحمد لله كما قال:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر ... لبِسْتُ، ولا من غَدْرة أتقنّع

وقيل : حامدين لله تعالى بألسنتكم .[50]

50- في الآية أقوال أخر أشار إليها القرطبي بقوله : قال سعيد بن جُبير: تخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك وبحمدك ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (بحمده) بأمره أي تقرّون بأنه خالقكم. وقال قتادة: بمعرفته وطاعته. وقيل: المعنى بقدرته. وقيل: بدعائه إياكم.

وقال بعض العلماء : فيوم القيامة يوم يُبدأ بالحمد ويُختم به قال الله تعالى :(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) وقال في آخره(وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ) [الزمر: 75]. {وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً}. يعني بين النفختين وذلك أن العذاب يُكفّ عن المعذَّبين بين النفختين [51].

*** * * * * ***

2- حمْد المؤمنين لربهم عزوجل على ما يَسَّرلهم من الإيمان والأعمال الصالحة التي صيَّرتهم إلى دخول الجِنان، كما في قوله - سبحانه وتعالى -: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُوَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأعراف: 43].

قال السعدي : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانا متحابين، وأخلاء متصافين. قال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم. فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه.

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) بأن منَّ علينا وأوحى إلى قلوبنا، فآمنت به، وانقادت للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ الله علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم، الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون.

وجاء في التفسير الوسيط : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدانَا اللَّهُ) أى: قالوا شاكرين لله أنعمه ومننه: الحمد لله الذي هدانا في الدنيا إلى الإيمان والعمل الصالح، وأعطانا في الآخرة هذا النعيم الجزيل، وما كنا لنهتدي إلى ما نحن فيه من نعيم لولا أن هدانا الله إليه بفضله وتوفيقه.

51- تفسير القرطبي .

وقال بعضهم : جاء التعبير عن الحمد بالماضي في الآيات الكريمة التي توضح حمْد المؤمنين مِن أهل الجنة؛ وذلك للتنبيه على تحقُّق وقوعه .

*** * * * * ***

3- حمْد المؤمنين لربهم في الجنةعلى ما يأتيهم من طعامها : حيث أخبر - عزوجل - عن دعائهم فيها بحمْده بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [يونس: 9، 10].

قوله تعالى (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ) أي دعاؤهم ؛ والدعوى مصدر دعا يدعو ، كالشكوى مصدر شكا يشكو ؛ أي دعاؤهم في الجنة أن يقولوا سبحانك اللهم وقيل : إذا أرادوا أن يسألوا شيئا أخرجوا السؤال بلفظ التسبيح ويختمون بالحمد . وقيل : نداؤهم الخدم ليأتوهم بما شاءوا ثم سبحوا .

وقيل : إن الدعاء هنا بمعنى التمني قال الله تعالى ولكم فيها ما تدعون أي ما تتمنون، والله أعلم.

قوله تعالى (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ) أي تحية الله لهم أو تحية الملك أو تحية بعضهم لبعض.(وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أن أهل الجنة إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب ونحوهما .قالوا سبحانك اللهم، فأحضر لهم في الحال.فإذا فرغوا قالوا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [52] .

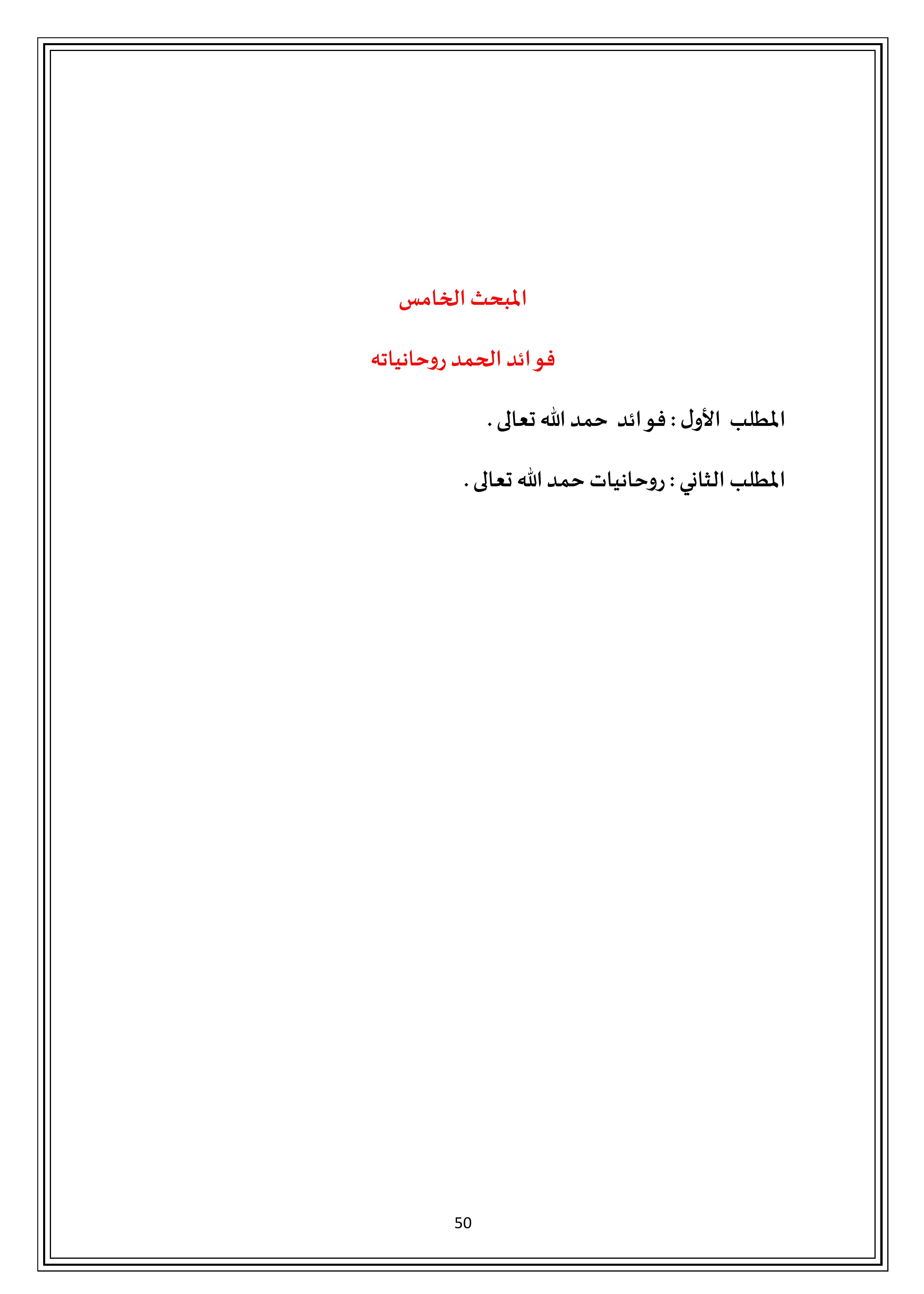
52- قال القرطبي : قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فيه أربع مسائل :
الأولى : قيل : إن أهل الجنة إذا مر بهم الطير واشتهوه قالوا : سبحانك اللهم ; فيأتيهم الملك بما اشتهوا ، فإذا أكلوا حمدوا الله فسؤالهم بلفظ التسبيح والختم بلفظ الحمد ،والمعنى أنه الحمد لله . قال محمد بن يزيد : ويجوز" أن الحمد لله " .
الثانية : التسبيح والحمد والتهليل قد يسمى دعاء ; روى مسلم والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم . لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم . قال الطبري : كان السلف يدعون بهذا الدعاء ويسمونه دعاء الكرب . وقال ابن عيينة وقد سئل عن هذا فقال : أما علمت أن الله تعالى يقول " إذا شغل عبدي ثناؤه عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين " .
والذي يقطع النزاع وأن هذا يسمى دعاء وإن لم يكن فيه من معنى الدعاء شيء و إنما هو تعظيم لله تعالى وثناء عليه ما رواه النسائي عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوة ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لن يدعو بها مسلم في شيء إلا استجيب له .
الثالثة : من السنة لمن بدأ بالأكل أن يسمي الله عند أكله وشربه ويحمده عند فراغه اقتداء بأهل الجنة ; وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها .

4- حمْد المؤمنين لربهم في الجنة على إذهاب الحزن والخوف وعلى كل ما كانوا يعانون منه في الدنيا : وذلك بعد زوال جميع أنواع المخاوف عنهم برحمته، كما في قوله عز وجل : **(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ* الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ)** [فاطر: 34، 35].

قوله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ) قال بعض المفسرين : حزن زوال النعم وتقليب القلب ، وخوف العاقبة ، **وقيل :** حزن أهوال يوم القيامة . وقيل : ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة .[53] **وقال السعدي :** وهذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا، وهو في تزايد أبد الآباد.

الرابعة : يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنة : وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ؛ وحسن أن يقرأ آخر والصافات فإنها جمعت تنزيه البارئ تعالى عما نسب إليه ، والتسليم على المرسلين ، والختم بالحمد لله رب العالمين .(باختصار) .

53- وفي الآية أقوال أخر أشار إليها البغوي رحمه الله بقوله : قال ابن عباس : أي حزن النار. وقال قتادة : حزن الموت . وقال مقاتل : حزنوا لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم . وقال عكرمة : حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وقال سعيد بن جبير: هم الخبز في الدنيا . وقيل : هم المعيشة . وقال الزجاج : أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد.



المبحث الخامس

فو ائد الحمد روحانياته

المطلب الأول : فو ائد حمد الله تعالى .

المطلب الثاني : روحانيات حمد الله تعالى .

المطلب الأول

فوائد حمد الله تعالى

إن الشكر سبب لزيادة النعم، ودفع النقم، واستجلاب البركات، وتكثير العطيات من ربنا الواحد رب البريات، يقول ربنا جل في علاه في كتابه الكريم: **(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)** سورة إبراهيم(7).

وقد أنعم الله عزوجل علينا بسائر النعم، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنه: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (لقمان:20).

ولا شك أن أعظم الدوافع للشكر هو التعمق في معرفة نعم الله ولا أعني المعرفة السطحية بل معرفة أهميتها وإعطاءها قدرها اللائق بها، ولا شك أن أهم النعم هي تلك النعم التي تذكر المؤمنين بما خصهم الله به من الهداية إلى الإيمان ومعرفة دينه ، وتليها تلك المعرفة الأقرب إلى خلق الإنسان وما يتعلق بوجوده وحياته وأسباب بقائه ، والله تعالى حثنا على معرفة تلك النعم في آيات كثيرة وقد اخترت ثلاث فقط للوصول من خلالهما إلى الإحساس بنعمه العظيمة وآلائه الجسيمة

الآية الأولى : قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) (المائدة:3). **تبين هذه الآية من أعظم النعم علينا أن تعالى هدانا سواء السبيل، واختارنا واصطفانا من بين كثير من الأمم أن نكون مسلمين .**

*** * * * * ***

وإليك شيء من تفصيل معاني هذه الآية وما فيها من تكريم [54]:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) إكمال الدين هو إكمال البيان المراد لله تعالى الذي اقتضت الحكمة تنجيمه ، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد ، التي لا يسع المسلمين جهلها ، وبعد تفاصيل أحكام

54- انظر تفاسير القرطبي والرازي والمنار و ابن عاشور والسعدي .

قواعد الإسلام التي آخرها الحج بالقول والفعل ، وبعد بيان شرائع المعاملات وأصول النظام الإسلامي .

(وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بإكمال الشرائع والأحكام وإظهار دين الإسلام كما وعدتكم وظاهر العطف يقتضي : أن تمام النعمة منة أخرى غير إكمال الدين ، وهي نعمة النصر ، والأخوة ، وما نالوه من المغانم ، ومن جملتها إكمال الدين ، فهو عطف عام على خاص . وجوزوا أن يكون المراد من النعمة الدين ، و إتمامها هو إكمال الدين ، فيكون مفاد الجملتين واحدا .

(وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أي: اخترته واصطفيته لكم دينا، كما ارتضيتكم له، فقوموا به شكرا لربكم، واحمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها و أكملها. والرضى بالشيء الركون إليه وعدم النفرة منه ، ويقابله السخط : فقد يرضى أحد شيئا لنفسه فيقول : رضيت بكذا ، وقد يرضى شيئا لغيره ، فهو بمعنى اختياره له ، واعتقاده مناسبته له .

وقد يدل قوله (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) على أن هذا الدين دين أبدي : لأن الشيء المختار المدخر لا يكون إلا أنفس ما أظهر من الأديان ، والأنفس لا يبطله شيء إذ ليس بعده غاية ، فتكون الآية مشيرة إلى أن نسخ الأحكام قد انتهى .

*** * * * * ***

الآية الثانية : قوله تعالى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم:34) .

قال الرازي رحمه الله تعالى [55] :

قوله تعالى : (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) اعلم أن الإنسان إذا أراد أن يعرف أن الوقوف على أقسام نعم الله ممتنع ، فعليه أن يتأمل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه عنه ونحن نذكر مثالا لذلك وهو : أنك إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها :

55- من تفسيره للآية باختصار.

أما الأمور التي قبلها : فاعرف أن تلك اللقمة من الخبز لا تتم ولا تكمل إلا إذا كان هذا العالم بكليته قائما على الوجه الأصوب ، لأن الحنطة لا بد منها ، وأنها لا تنبت إلا بمعونة الفصول الأربعة ، وتركيب الطبائع وظهور الرياح والأمطار ، ولا يحصل شيء منها إلا بعد دوران الأفلاك ، واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة في الحركات ، وفي كيفيتها في الجهة والسرعة والبطء ، ثم بعد أن تكون الحنطة لا بد من آلات الطحن والخبز ، وهي لا تحصل إلا عند تولد الحديد في أرحام الجبال ، ثم إن الآلات الحديدية لا يمكن إصلاحها إلا بآلات أخرى حديدية سابقة عليها ، ولا بد من انتهائها إلى آلة حديدية هي أول هذه الآلات .

فتأمل أنها كيف تكونت على الأشكال المخصوصة ، ثم إذا حصلت تلك الآلات فانظر أنه لا بد من اجتماع العناصر الأربعة ، وهي الأرض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق . فهذا هو النظر فيما تقدم على حصول هذه اللقمة .

وأما النظر فيما بعد حصولها : فتأمل في تركيب بدن الحيوان ، وهو أنه تعالى كيف خلق الأبدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة ، وأنه كيف يتضرر الحيوان بالأكل وفي أي الأعضاء تحدث تلك المضار ، ولا يمكنك أن تعرف القليل من هذه الأشياء إلا بمعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية ، فظهر بما ذكرنا أن الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته إلا بمعرفة جملة الأمور ، والعقول قاصرة عن إدراك ذرة من هذه المباحث ، فظهر بهذا البرهان القاهر صحة قوله تعالى : **(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)** [56].

*** * * * * ***

56- قال الرازي : ثم إنه تعالى قال : (إن الإنسان لظلوم كفار) قيل : يظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها . وقيل : ظلوم في الشدة يشكو ويجزع ، كفار في النعمة يجمع ويمنع ، والمراد من الإنسان ههنا : الجنس ؛ يعني أن عادة هذا الجنس هو هذا الذي ذكرناه ، وههنا بحثان :

البحث الأول : أن الإنسان مجبول على النسيان وعلى الملالة ، فإذا وجد نعمة نسيها في الحال وظلمها بترك شكرها ، وإن لم ينسها فإنه في الحال يملها فيقع في كفران النعمة ، و أيضا أن نعم الله كثيرة فمتى حاول التأمل في بعضها غفل عن الباقي .

البحث الثاني : أنه تعالى قال في هذا الموضع : (إن الإنسان لظلوم كفار) وقال في سورة النحل : (إن الله لغفور رحيم) [النحل : 18] ولما تأملت فيه لاحت لي فيه دقيقة كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها و أنا الذي أعطيتها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : وهما كونك ظلوما كفارا ، ولي وصفان عند إعطائها وهما كوني غفورا رحيما ، والمقصود كأنه يقول : إن كنت ظلوما فأنا غفور، وإن كنت كفارا فأنا رحيم أعلم عجزك وقصورك فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء ، ونسأل الله حسن العاقبة والرحمة .

وقال السعدي رحمه الله تعالى :

قوله تعالى : (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) أي: أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانيكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك.

قوله تعالى : (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) فضلا عن قيامكم بشكرها **(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)** أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفَّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به.

ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره، وذكره ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات.

*** * * * * ***

الآية الثالثة : وهي تشير إلى نعمة اكتمال حواسنا من سمع وبصر و أفئدة : **قال تعالى (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** سورة النحل (78).

قال الرازي رحمه الله تعالى [57]: **(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** المعنى : أن النفس الإنسانية لما كانت في أول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم بالله ، فالله أعطاه هذه الحواس ؛ ليستفيد بها المعارف والعلوم ، وتقريره أن النفس كانت في مبدأ الخلقة خالية عن جميع العلوم إلا أنه تعالى خلق السمع والبصر ، فإذا أبصر الطفل شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك المبصر ، وكذلك إذا سمع شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في سمعه وخياله ماهية ذلك المسموع ، وكذا الطول في سائر الحواس فيصير حصول الحواس سببا لحضور ماهيات المحسوسات في النفس والعقل . ثم إن تلك الماهيات على قسمين :

أحد القسمين : ما يكون نفس حضوره موجبا تاما في جزم الذهن بإسناد بعضها إلى بعض بالنفي أو الإثبات ، مثل أنه إذا حضر في الذهن أن الواحد ما هو ؟ وأن نصف الاثنين ما هو ؟ كان حضور

57- من تفسيره للآية باختصار.

هذين التصورين في الذهن علة تامة في جزم الذهن بأن الواحد محكوم عليه بأنه نصف الاثنين ، وهذا القسم هو عين العلوم البديهية .

والقسم الثاني : ما لا يكون كذلك وهو العلوم النظرية ، مثل أنه إذا حضر في الذهن أن الجسم ما هو ؟ وأن المحدث ما هو ؟ فإن مجرد هذين التصورين في الذهن لا يكفي في جزم الذهن بأن الجسم محدث ، بل لا بد فيه من دليل منفصل وعلوم سابقة . والحاصل أن العلوم الكسبية إنما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البديهية . وحدوث هذه العلوم البديهية إنما كان عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها . وحدوث هذه التصورات إنما كان بسبب إعانة هذه الحواس على جزئياتها ، فظهر أن السبب الأول لحدوث هذه المعارف في النفوس والعقول هو أنه تعالى أعطى هذه الحواس ؛ فلهذا السبب قال تعالى : **(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** ليصير حصول هذه الحواس سببا لانتقال نفوسكم من الجهل إلى العلم بالطريق الذي ذكرناه ، وهذه أبحاث شريفة عقلية محضة ، مدرجة في هذه الآيات .

قال السعدي رحمه الله تعالى : **(جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَوَالْأَفْئِدَةَ)** خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة.

*** * * * * ***

بعض أقوال السلف التي تحث على حمد الله تعالى :

قال رجل لأبي حازم – سلمة بن دينار -: ما شكر العينين؟ فقال: إن رأيت بهما خيراً، أعلنته؛ وإن رأيت بهما شراً، سترته.قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهم خيراً، وعيته؛ وإن سمعت بهما شراً، دفنته.قال: ما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لك، ولا تمنع حقاً لله هو فيهما.قال: وما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعاماً، وأعلاه علماً.

قال؟ وما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ).

قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن رأيت ميتاً غبطته، استعملت بهما عمله؛ وإن رأيت ميتاً مقته، كففتهما عن عمله؛ وأنت شاكر لله عز وجل؛ فأما من يشكر بلسانه، ولم يشكر بجميع أعضائه؛ فمثله: كمثل رجل له كساء، فأخذ بطرفه، ولم يلبسه؛ فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد، والثلج والمطر [58].

وعن عبد الله بن أبي نوح قال: قال رجل لي في بعض السواحل: كم عاملته . تبارك اسمه . بما يكره، فعاملك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرة؛ قال: فهل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟ قلت: لا والله، ولكنه أحسن إلي، وأعانني.

قال: فهل سألته شيئاً قط، فما أعطاك؟ قلت: وهل منعني شيئاً سألته؟ ما سألته شيئاً قط، إلا أعطاني، ولا استعنت به إلا أعانني.

قال: أرأيت، لو أن بعض بني آدم: فعل بك بعض هذه الخلال، ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة، ولا جزاء.

قال: فربك تعالى أحق وأحرى: أن تدأب نفسك في أداء شكر نعمه عليك، وهو قديماً وحديثاً يحسن إليك؛ والله، لشكره أيسر من مكافأة عباده؛ إنه تبارك وتعالى: رضي بالحمد من العباد شكراً [59].

***   * * * *   ***

فائدة : عن عمرو بن السكن قال: كنت عند سفيان بن عيينة، فقام إليه رجل من أهل بغداد؛ فقال: يا أبا محمد، أخبرني عن قول مطرف: لأن أعافى، فأشكر؛ أحب إلي: من أن أبتلى، فأصبر؛ أهو أحب إليك، أم قول أخيه أبي العلاء: اللهم، رضيت لنفسي ما رضيت لي؟ قال: فسكت سكتة؛ ثم قال: قول مطرف: أحب إلي؛ فقال الرجل: كيف، وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له؟ قال سفيان: إني قرأت القرآن، فوجدت صفة سليمان مع العافية التي كان فيها: {**نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**}

58- حلية الأولياء - (3/ 243) .

59- حلية الأولياء– لأبي نعيم الأصبهاني - (6/ 298 – 299).

ووجدت صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه: {**نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**}، فاستوت الصفتان، وهذا معافى، وهذا مبتلى؛ فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر؛ فلما اعتدلا: كانت العافية مع الشكر، أحب إلي، من البلاء مع الصبر [60].

*** * * * * ***

ومن فوائد الحمد أن الشكر لله وللناس هو السبب في استمرار النجاح [61]:

قال الدكتور عبد الدائم الكحيل: كنتُ أتأمل سيرة بعض الناجحين على مر التاريخ ولفت انتباهي أمر مهم ألا وهو أنهم يستخدمون التقنيات ذاتها في سبيل النجاح وتحقيق ما يطمحون إليه بسهولة. ومن الأشياء الملفتة أنهم يستخدمون "قوة الشكر" فالشكر والامتنان له سحر غريب وتأثير عجيب في حياة الإنسان، ولكن كيف؟ .

يؤكد الدكتور جون غراي وهو طبيب نفسي وأحد المبدعين الذين بيعت ملايين النسخ من كتبه، يؤكد على أهمية الشكر في حياة الإنسان الناجح، فالزوجة مثلاً التي تشكر زوجها على ما يقوم به، فإن هذا الشكر يحفزه للقيام بمزيد من الإبداعات والنجاح. فالامتنان يقدم لك المزيد من الدعم والقوة.

ويوضح الخبير "جيمس راي" هذه الحقيقة بقوله: إن قوة الشكر كبيرة جداً فأنا أبدأ يومي كلما استيقظت صباحاً بعبارة "الحمد لله" لأنني وجدتها مفيدة جداً وتمنحني طاقة عظيمة! ليس هذا فحسب بل إنني أشكر الله على كل صغيرة وكبيرة وهذا سرّ نجاحي أنني أقول "الحمد لله" وأكررها مراراً طيلة اليوم!!

للشكر تأثير مذهل في حياة معظم المبدعين، فالامتنان والشكر للآخرين هو أسهل الطرق للنجاح، والشكر طريقة قوية ومؤثرة حتى عندما يقدم لك أحد معروفاً صغيراً فإنك عندما تشكره تشعر بقوة في داخلك تحفزك للقيام بالمزيد من الأعمال الخيرة. وفي دراسة حديثة تبين أن الامتنان والشكر يؤدي إلى السعادة وتقليل الاكتئاب وزيادة المناعة ضد الأمراض!

60- حلية الأولياء - (2/ 212 – 213) .

61- أسرار الإعجاز العلمي موقع مخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل .

لقد قام العلماء بتجارب كثيرة لدراسة تأثير الشكر على الدماغ ونظام المناعة والعمليات الدقيقة في العقل الباطن، ووجدوا أن للشكر تأثيراً محفزاً لطاقة الدماغ الإيجابية، مما يساعد الإنسان على مزيد من الإبداع و إنجاز الأعمال الجديدة. كما تؤكد بعض الدراسات أن الامتنان للآخرين وممارسة الشكر والإحساس الدائم بفضل الله تعالى يزيد من قدرة النظام المناعي للجسم!

*** * * * * ***

يقوم الدكتور روبرت إمون وفريق البحث في جامعة كاليفورنيا بدراسة الفوائد الصحية للشكر، وقد وجد بنتيجة تجاربه على الطلاب أن الشكر يؤدي إلى السعادة وإلى استقرار الحالة العاطفية وإلى صحة نفسية وجسدية أفضل. فالطلاب الذين يمارسون الشكر كانوا أكثر تفاؤلاً و أكثر تمتعاً بالحياة ومناعتهم أفضل ضد الأمراض. وحتى إن مستوى النوم لديهم أفضل!

الشكر لعلاج المشاكل اليومية : يؤكد الباحثون في علم النفس أن الشكر له قوة هائلة في علاج المشاكل، لأن قدرتك على مواجهة الصعاب وحل المشاكل المستعصية تتعلق بمدى امتنانك وشكرك للآخرين على ما يقدمونه لك. ولذلك فإن المشاعر السلبية تقف حاجزاً بينك وبين النجاح، لأنها مثل الجدار الذي يحجب عنك الرؤيا الصادقة، ويجعلك تتقاعس على أداء أي عمل ناجح.

عندما تمارس عادة "الشكر" لمن يؤدي إليك معروفاً فإنك تعطي دفعة قوية من الطاقة لدماغك ليقوم بتقديم المزيد من الأعمال النافعة، لأن الدماغ مصمم ليقارن ويقلّد ويقتدي بالآخرين وبمن تثق بهم. ولذلك تحفز لديك القدرة على جذب الشكر لك من قبل الآخرين، وأسهل طريقة لتحقيق ذلك أن تقدم عملاً نافعاً لهم.

فن ممارسة الشكر: الاختصاصي "لي برو" مؤسس شركة تفعيل الطاقة لإحراز الثروة، ينصح بأن تمارس الشكر والامتنان باستمرار بل أن تقنع نفسك بذلك من خلال الكلام، أي لا يكفي الاعتقاد أو الامتنان إنما يجب أن تقول وتكتب ذلك على ورقة مثلاً: إنني سعيد جداً ... لأنني أشكر الناس على معروفهم... وهذا الشكر سيقدم لي النجاح والإبداع...

ويقول هذا الخبير المتخصص بجمع الثروات: اجعل الشكر عادة تمارسها كل صباح، أن تبدأ بشكر الله، ثم تشكر الناس خلال ممارسة أعمالك اليومية لكل عمل أو معروف يقدّم لك... وخلال أيام قليلة ستشعر بقوة غريبة وجديدة من نوعها تسهل طريقة النجاح لك.

*** * * * * ***

آلية عمل الشكر:

بعد دراسات طويلة لعدد من الباحثين في علم النفس تبين أن معظم المبدعين والأثرياء كانوا يشكرون الناس على أي عمل يقدمونه لهم، وكانوا كثيري الامتنان والإحساس بفضل الآخرين عليهم، ولا ينكرون هذا الفضل حتى بعد أن جمعوا ثروات طائلة.

ولو تساءلنا: كيف يقوم هذا "الشكر" بعمله، وكيف يمكن أن يصبح الإنسان ناجحاً، وما علاقة ممارسة الشكر بالإبداع مثلاً؟ إن الجواب يكمن في عقلك الباطن!

يؤكد العلماء أن كل تصرف تقوم به أو حركة تعملها أو كلمة تنطق بها... إنما تصدر نتيجة برامج معقدة موجودة في داخل الدماغ في منطقة تسمى العقل الباطن (وهي منطقة مجهولة حتى الآن). وهناك تفاعلات يقوم عقلك الباطن في كل لحظة مع الأحداث التي تمر بك، وعند ممارستك لأي عمل هناك عمليات معقدة تحدث في دماغك لا تشعر بها.

فكثير منا يحاول حفظ القرآن مثلاً ولا يستطيع بل يجد ثقلاً وكأن شيئاً يبعده عن هذا الحفظ. وكثير منا يحاول أن ينجز عملاً فلا يجد رغبة في ذلك فيتقاعس وتجده كئيباً منعزلاً لا يجد لذة في هذا العمل فلا يقدم عليه. وكثير أيضاً لديهم طموحات في مجال الدراسة أو العمل أو العاطفة... ولكن لا ينجزون أي شيء!

هل تعلمون ما هو سبب هذه الظاهرة الخطيرة؟ إنه عقلك الباطن الذي امتلأ بالأفكار السلبية وتمَّ حشوه بالمعلومات الخاطئة عن الآخرين وفقد التوجه الصحيح، وبالتالي لابد من إعادة شحنه وبرمجته وتنشيطه.

*** * * * * ***

المطلب الثاني

روحانيات حمد الله تعالى

إن أجمل شعور يشعر به الإنسان في هذه الحياة هو شعوره بنعم الله التي تغمره وتملأ وجدانه وأجمل من ذلك هو شعوره بأن الله تعالى قد اختصه بتلك النعم دون غيره من الخلائق .

وما من شك أن المؤمن لا بد أن يعتريه إحساس بما اختصه به من نعمة الإيمان كما قال تعالي (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) سورة آل عمران (74) **وقال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) سورة الجمعة (4) .**

أقول في تلك اللحظات التي تغمره قلبه وتستولي على أحاسيه ومشاعره شعوره لو قال **(الحمد لله)** سيجد لها طعما لا يمكن أن يعبر عنه بكلمات مهما أوتي من البلاغة والفصاحة ويحق له حينها أن يقول (إنني لا أجد في حروف اللغة العربية ما يكفي للتعبير عما بداخلي) . تلك المشاعر والأحاسيس هي لب الحمد وروحه .

فمن روحانيات الحمد : أنني حين أدخل البيت فأرى أسرتي تعيش سعادة الحياة معافاة من الأمراض العضوية والنفسية والعقلية ؛ وتحيا بروح الإيمان وأداء الصلاة وتلاوة القرآن ؛لا بحولي ولا بقوتي فأنا لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا فضلا عن أن أملك لغيري شيئا من ذلك .. إن حمدي في تلك الحال هو لب الحمد وروحه.

*** * * * * ***

ومن روحانيات الحمد : أنني حينما أعيش الإحساس بعافية البدن وشمول الصحة وسلامة العقل فأقول : الحمد لله رب العالمين .. الحمد لله الذي عافاني في بدني وفي سمعي وفي بصري .

ومن روحانيات الحمد : إلتفاتي إلى تلك النعم مما يحضرني ومما غاب عني إلى أن الله تعالى قد خصني وامتنَّ عليَّ ، ذلك الالتفات في حد ذاته عطاء قد يُحرَم منه الكثيرون .

يقول ابن القيم في فوائده : من الآفات الخفية العامة أن يكون العبد في نعمة أنعم الله بها عليه واختارها له فيملَّها العبد ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم لجهله أنه خير له منها ؛ وربه برحمته لا يخرجه من تلك النعمة ويعذره بجهله ، وسوء اختياره لنفسه، حتى إذا ضاق ذرعا

بتلك النعمة ، وسخطها وتبرم بها واستحكم مدله لها سلبه الله إياها ؛ فإذا انتقل إلى ما طلبه ورأى التفاوت بين ما كان فيه وما صار إليه اشتد قلقه وندمه ،وطلب العودة إلى ما كان فيه فإذا أراد الله بعبده خيرا ورشدا أشهده أن ما هو فيه نعمة من نعمه عليه، ورضَّاه به؛ وأوزعه شكره عليه؛ فإذا حدَّثته نفسه بالانتقال عنه استخار ربه استخارة جاهل بمصلحته ، عاجز عنها مفوِّضٌ إلى الله طالبٌ منه حسن اختياره له.

*** * * * * ***

ومن روحانيات الحمد : شهود العبد إنعام الله عليه أثناء تقلباته في ليله ونهاره وفي معيشته الدنيوية وحياته التعبدية .. فلا يفوته فرض ولا يتخلى عن نفل ولا يقع في كبيرة من الكبائر ولا يُصرُّ على صغيرة من الصغائر ،فلا ينسب ذلك لنفسه بل لربه تعالى فيقول الحمد لله متذكرا قوله تعالى (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سورة النور (21) .

وفي بيان هذا المعنى وأهمية الشعور به يقول الغزالي رحمه الله تعالى[62] :

واعلم أن تمام هذه المعرفة - بنعمة الله ونسبتها إليه - بنفي الشرك في الأفعال ؛ فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء ؛ فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك و إيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة ، فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزَّع فرحه عليهما؛ فلا يكون موحدا في حق الملك ؛ لأن هذا الملك لو خُلِّي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به .

وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلاً إلى تركه ، فهو إذن إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ؛ ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما نفعك ؛ فهو إذن إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعِماً عليك ، بل اتخذك وسيلةً إلى نعمة أخرى وهو يرجوها؛ و إنما الذي أنعم عليك هو الذي سخَّره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات

62- إحياء علوم الدين – المجلد الرابع كتاب الصبر والشكر – باختصار.

والإرادات ما صاربه مضطرا إلى الإيصال إليك؛ فإن عرفت الأموركذلك فقد عرفتَ الله تعالى وعرفتَ فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكر.

*** * * * * ***

ومن روحانيات الحمد : أن يكون همُّ العبد في الوصول إلى الحمد الحقيقي الذي يُرضِي ربه فيتقبله منه سبحانه وتعالى ولعمري تلك منزلة عليا قلَّ مَنْ يفطن لها فضلا عن الوصول إليها.

وفي بيان هذا المعنى يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى[63] :

و إنما الشكر التام هو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث إنه يقدربها على التوصل إلى القرب منه تعالى ، والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام.

فهذا هو الرتبة العليا وأمارته ان لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة.

*** * * * * ***

الختام بذكرعدد من صيغ الحمد والثناء على الله تعالى :

مر معنا في فضائل الحمد في السنة ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(أولُ من يُدْعَى إلى الجنةِ الحَمَّادُونَ الذين يَحْمَدُونَ اللهَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ)[64] .

بناءً على هذا الحديث أحببت أن أقتبس بعض صيغ الحمد الواردة في السنة آثار الصالحين لتكتمل روحانيات الحمد وفي نفس الوقت تصلح تلك الصيغ لاستفتاح الدعاء وهو أدب من آداب الدعاء كما هو معلوم .

(اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ أنتَ ربُّ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولَكَ الحمدُ أنتَ قيُّومُ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولَكَ الحمدُ أنتَ نورالسَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ ، أنتَ الحقُّ، وقولُكَ الحقُّ،

63- المرجع السابق – باختصار.

64- رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسيربالمأثوروعزاه إلى أبي الشيخ و ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

ووعدك حقٌّ، والجنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، والنَّبيُّونَ حقٌّ، ومحمَّدٌ حقٌّ، اللَّهمَّ لَكَ أسلمتُ، وبِكَ آمنتُ، وعليْكَ توَكَّلتُ، وإليْكَ أنَبتُ، وبِكَ خاصَمتُ، وإليْكَ حاكمتُ، فاغفِر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلَنتُ، أنتَ إلَهي لاَ إلَهَ إلَّا أنتَ) أخرجه البخاري (7499)، ومسلم (769) باختلاف يسير.

(سبحان اللهِ عدَدَ ما خلق ،سبحان اللهِ مِلْءَ ما خلَق ، سبحان اللهِ عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ سبحان اللهِ مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ ، سبحان اللهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه ، سبحان اللهِ مِلْءَ ما أحصى كتابُه ، سبحان اللهِ عددَ كلِّ شيءٍ ، سبحانَ اللهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ ، الحمدُ للهِ عددَ ما خلق ، والحمدُ لله مِلْءَ ما خلَق ، والحمدُ لله عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ ،والحمدُ لله مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ ، والحمدُ للهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه، والحمدُ لله مِلْءَ ما أحصى كتابُه ،والحمدُ للهِ عدَدَ كلِّ شيءٍ،والحمدُ للهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ) صحيح الترغيب والترهيب.

اللهم تَمّ نُورك فَهَدَيت فَلَكَ الْحَمْد ، وعَظُم حِلمك فَعَفَوْت فَلَكَ الْحَمْد ، وَبَسَطْتَ يَدك فأعطيت فَلَكَ الْحَمْد ، ربنا وَجهك أكْرم الوُجوه ، وجَاهك خير الجاه ، وعطيتك أفضل العطية وأهنأها ، تُطاع ربنا فتَشْكُر ، وتُعْصَى ربنا فَتَغْفِر ، تُجيب المضطر ، وتَكْشِف الضُّرّ ، وتَشْفِي السَّقِيم ، وتُنَجّي مِن الكَرْب ، وتقبل التوبة ، وتغفر الذنب لمن شئت ، لا يَجزي آلاءك أحد ، ولا يُحْصِي نعماءك قول قائل [65].

*** * * * * ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ بِمَا خَلَقْتَنَا وَرَزَقْتَنَا وَهَدَيْتَنَا وَعَلَّمْتَنَا وَ أَنْقَذْتَنَا وَفَرّجَتْ عَنَّا ، لَكَ الْحَمْدُ بِالإِسْلامِ وَالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ ، كَبَتَّ عَدُوَّنَا ، وَبَسَطْتَ رِزْقَنَا ، وَأَظْهَرْتَ أَمنَنَا ، وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا ، وَأَحْسَنْتَ مُعَافَاتِنَا ، وَمِنْ كُلِّ وَاللهِ مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا ، لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ ، أَوْ سِرٍّ أَوْ عَلانِيَةٍ ، أَوْ خَاصَّةً أَوْ عَامَّةً ، أَوْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ أَوْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى ، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ[66] .

65- موقوف على سيدنا علي رضي الله عنه رواه ابن أبي شيبة .

66- من كلام الْحَسَنُ البصري - رواه البيهقي في شُعب الإيمان .

الحمد لله الذي تواضع لعظمته كلُّ شيء، الحمد لله الذي استسلم لقدرته كلُّ شيء،الحمد لله الذي ذلَّ لعزَّته كلُّ شيء، الحمد لله الذي خضع لملكه كلُّ شيء .

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .اللَّهُمَّ أنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِر، وأحَقُّ مَنْ عُبِد، و أنْصَرُ مِن ابْتُغِي، وأرْأَفُ منْ مَلَك، وأجْوَدُ منْ سُئِل، و أكْرَمُ منْ أعْطَى، وأرْحَمُ مِن اسْتُرْحِم، و أكْفَى منْ تُوُكِّلَ علَيهِ، و أبَرُّمنْ أجَاب، أنْتَ المَلِكُ لا شَرِيْكَ لك،و أنْتَ الفَرْدُ لا نِدَّ لك كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَك،لا تُطَاعُ إلاَّ بِإذْنِك، ولا تُعْصَى إلاَّ بعِلْمِك، تُطَاعُ فَتَشْكُر، وتُعْصَى فَتَغْفِر، أقْرَبُ شَهِيْدٍ، وأدْنَى حَفِيْظٍ، حُلْتَ دُوْنَ النُّفُوسِ، وأخَذْتَ بالنَّوَاصِي، وكَتَبْتَ الآثَارَ ونَسَخْتَ الآجَالَ،القُلُوبُ لكَ مُفْضِيَةٌ والسِّرُّ عِنْدَك عَلانَيةٌ. الحَلالُ ما أحْلَلْتَ والحَرَامُ ما حَرَّمْتَ، والدِّيْنُ ما شَرَعْتَ والأَمْرُمَا قَضَيْتَ،والخَلْقُ خَلْقُكَ، والعَبْدُ عَبْدُكَ، و أنْتَ اللّهُ، المَلِكُ، الرَّؤُوفُ التَّوَّاب الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ.

*** * * * * ***

الحمد لله حمداًٍ نتجاوز به ضيق الأرض إلى سعة السماء الحمد لله حمداً تطيب له النفس حتى ترضى ، الحمدلله حمداًٍ كثيرا يشرح به القلب و يرضيه .

الحمدلله حباًٍ الحمد لله شكراًٍ الحمدلله يوماًٍوشهراًٍوعمراًٍ الحمد لله في السراء والضراء الحمدلله دائماًٍوأبدا كلما حمدت ربي وجدت منه مايرضيني لك الحمد ربي حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى .

اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ أنتَ نُورُالسمواتِ والأرضِ ومَنْ فيهِنَّ، ولكَ الحَمْدُ، أنتَ قيِّمُ السموات والأرض ومن فيهنَّ ، ولكَ الحَمْدُ، أنتَ ملك السموات والأرض ومن فيهنَّ ، ولك الحمدُ أنت الحقُّ، ووعدُكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ ولقاؤكَ حَقٌّ، والجَنَّةُ حقٌّ، والنَّارُحقٌّ والسَّاعةُ حقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كُلُّهُ، وإلَيْك يَرْجِعُ الأمْرُكُلُّه، عَلانِيَتُهُ وسِرُّهُ. فَحَقٌّ أنْتَ أنْ تُعْبَد، وحَقٌّ أنْتَ أنْ تُحْمَد، و أنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْراللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كالَّذِي تَقُولُ، وخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ بِجَمِيْعِ المَحَامِدِ كُلِّهَا.

اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كَمَا حَمِدْتَ نَفْسَك فِي أُمِّ الكِتَابِ والتَّوْرَاةِ والإِنْجيْلِ والـزَّبُورِوالفـُرْقَان اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ أَكْمَلُهُ، ولك الثَّنَاءُ أجْمَلُهُ، ولك القَوْلُ أبْلَغُهُ، ولك العِلْمُ أحْكَمُهُ، ولك السُّلْطَانُ أقْوَمُهُ، ولك الجَلالُ أعْظَمُهُ .

اللَّهُمَّ لك الحمْدُ حَمْدًا يملأُ المِيْزان، ولك الحَمْدُ عَدَدَ ما خَطَّهُ القَلمُ وأحْصَاهُ الكِتَابُ ووَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ اللَّهُمَّ لك الحمْدُ على ما أعْطَيْتَ ومامَنَعْت، وما قَبَضْتَ وما بَسَطْتَ اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ على كُلِّ نِعْمَةٍ أنْعَمْتَ بِهَا عَليْنَا فِي قَدِيْمٍ أوْ حَدِيْثٍ، أوْ خاصَّةٍ أوْ عَامَّةٍ أوْ سِرٍ أوْ عَلانِيَةٍ او حي او ميت او شاهد او غائب .

***　　* * * *　　***

اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ولك الحمْدُ فِي النَّعْمَاءِ واللَّأْوَاءِ، ولك الحمْدُ فِي الشِّدَّةِ والرَّخَاءِ، ولك الحمْدُ على حِلْمِك بَعْدَ عِلْمِك، ولك الحمْدُ على عَفْوك بَعْدَ قُدْرتِك، ولك الحمْدُ على كُلِّ حَال .

الحمْدُ لله فِي الأُوْلى والآخِرَة، الحَمْدُ لله الَّذِي لا يَنْسَى منْ ذَكرَهُ، والحَمْدُ لله الَّذِي لا يَخِيْبُ منْ دَعَاهُ، ولا يَقْطَعُ رَجَاءَ منْ رَجَاهُ.

الحمد لله رب العالمين.. يُحب من دعاه خفيا.. ويُجيب من ناداه نجيا.. ويزيدُ من كان منه حيِيا.. ويكرم من كان له وفيا.. ويهدى من كان صادق الوعد رضيا.

الحمد لله رب العالمين.. الذي أحصى كل شيء عددًا.. وجعل لكل شيء أمدا.. ولا يُشرك في حُكمهِ أحدا.. وخلق الجِن وجعلهم طرائق قِددا.

الحمد لله رب العالمين.. الذي جعل لكل شيء قدرا.. وجعل لكل قدرِ أجلا.. وجعل لكل أجلِ كتابا.

الحمد لله رب العالمين.. حمدًا لشُكرهِ أداءا.. ولحقهِ قضاءا.. ولِحُبهِ رجاءا.. ولفضلهِ نماءا.. ولثوابهِ عطاءا.

***　　* * * *　　***

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، الحمد لله على نعمه الكثيره التي لا تعد ولا تحصى اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد حين الرضا ولك الحمد بعد الرضا .

الحمد لله والشكر له حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا أن يحمد ويشكر ربي لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد اذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى ولك الحمد على كل حال.

الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، الحمد لله الذي لا يخيب من دعاه الحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا، ربي لك الحمد حتى ترضى اصبحنا لك حامدين شاكرين يا الله ..

إلهِي تَمَ نُورُكَ فَهَديْتَ فَلَكَ الحَمْد، عَظُمَ حِلْمُكَ فَغفَرت، بَسَطتَ يَدَكَ فَأَعْطَيتَ فَلَكَ الحَمْد، وَجْهُكَ أَكْرمُ الوُجُوه وَجَاهُكَ أَعْظَمُ الجَاه، وَعَطِيَّتُكَ أَفْضَلُ العَطِيَّة وَأَهْنَاهَا، تُطَاعُ فَتَشْكُر، وَتُعْصَى فتَغْفِر، وَتُجِيبُ المضطر، وَتَكْشِفُ الضُر، تَشْفِي السَقِيم وَتَغْفِرُ الذَنب وَتَقْبَلُ التَوبْ وَلاَ يَجْزِي بِآلائِكَ أَحْد، وَلاَ يَبْلُغُ مَدْحُكَ قَولُ قَائِل. إلَهِي يَا حَسَنْ التَجَاوزيَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيل وَسَتَرَ القَبِيحْ يَا مَنْ لاَ يَأْخُذُ بِالجَرِيرَة وَلاَ يَهْتِكُ السِتْر يَا وَاسِعُ المَغْفِرَة يَا بَاسِطَ اليَدينِ بالرَحمَة، يَا صَاحِبَ كُلِ نَجْوَى وَيَا مُنْتَهَى كُلِ شَكْوَى يَا كَرِيمَ الصَفْح يَا عَظِيمَ المَن يَا مُبْتَدئاً بِالنِّعَم قَبْل اسْتِحْقَاقَها، يَا رِبي وَسَيدي وَمَولاَي وَيَا غَايةَ رَغْبَتِي، أَسْأَلُكَ يَا الله أَنْ تُحَرِمَ وَجْهِي عَلَى النَاروان ترزقني ووالدي الفردوس الاعلى من الجنة ، وَ أنتَ الرَءوفُ الرَحِيم .

*** * * * * ***

المبحث السادس

الأوقات والمواطن التي يُستحب فيها الحمد

لما كان العبد يتقلب في نعم الله تعالى في كل لحظة في حياته كان لا بد له من حمد الله تعالى تعالى، لذا وردت نصوص كثيرة في السنة المطهرة تحث العبد على حمد الله تعالى وشكره في مواطن كثيرة ، وقد ذكر العلامة ابن القيم في رسالته (صيغ الحمد) نحوا من عشرة ، وقمت بالبحث عن بقيتها فبلغت ثمانية عشر موطنا ، وهي :

1/ الحمد المطلق : مما لا يخفى أن الحمد شأنه شأن سائر الأذكار فهو مطلوب من العبد على كل حال وفي كل وقت ومما يدل على ذلك قوله تعالى قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) سورة الأحزاب (41-43)

وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قالَ: (قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ) قالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَما لِي؟ قالَ: (قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي) .

2/ الحمد في الصلاة وبعدها : وهذا يعتبر في الدرجة الأولى وهي مقدمة على جميع الأذكار المقيدة بمناسبة معينة مما سيأتي ذكره بعد قليل ولكنه لما كان مشهورا معلوما لم أشأ ذكر النصوص الواردة فيه فاكتفيت بالإشارة إليه لما يقتضيه الحصر.

*** * * * * ***

3/ الحمد عند الاستيقاظ من النوم : فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (إذا استيقظ أحدُكم فليقل : الحمدُ للهِ الذي ردَّ عليَّ روحي ، وعافاني في جسدي ، وأَذِنَ لي بِذِكْرِه) [67] . **4/ الحمد عند النوم :** فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله

67- أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة وحسنه السيوطي في الجامع الصغير.

عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه؛ قال:(الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا؛ فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي) رواه مسلم .

5/ الحمد بعد الانتهاء من تناول الطعام : عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع مائدته قال : (الحمدُ للهِ حمدا كثيرا طيبا مباركا فيهِ ، غيرَ مُكْفِي ، ولا مُوَدّعٍ ، ولا مسْتَغنى عنهُ ربنا) [68].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه قال : (الحمد لله الذي أطعمنا وأسقانا وجعلنا مسلمين) رواه أبو داود وغيره.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل أو شرب قال : (الحَمدُ للهِ الَّذي أطعَمَ وسقى، وسوَّغه وجعَل له مَخرَجًا) رواه أبو داود والنسائي ووصححه النووي في الأذكار.

قوله: وسوَّغه : أي: سهَّل دخولَه إلى الجِسمِ، وجعَل له مَذاقًا في الفَمِ ونفعًا للجِسمِ، "وجعَل له مَخرَجًا .

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أكل طعامًا فقال (الحمدُ للهِ الَّذي أطعمني هذا ورزقنيه من غيرِ حوْلٍ منِّي ولا قوَّةٍ) غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه) [69].

6/ الحمد بعد الخروج من بيت الخلاء : لما رواه ابن ماجه في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من الخلا قال (الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج قال (الحمدُ للهِ الذي أذاقَنِي لذتَه و أبقى عليَّ قوتَهُ وأذهبَ عنِي أذَاه) [70].

*** * * * * ***

68- صححه العلامة شعيب الأرناووط في تخريج شرح السنة - حديث رقم (2828) .

69- أخرجه أبو داود والترمذي وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره - ح رقم (2042) .

70- أخرجه الطبراني في الدعاء و ابن السني في عمل اليوم والليلة السيوطي في الجامع الصغير.

7/ الحمد عند لبس الثوب الجديد : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ إذا استجدَّ ثوبًا سماه باسمِه عمامةً أو قميصًا أورداءً ثم يقولُ (اللهمَّ لك الحمدُ أنت كسوتَنيه أسألُك خيرَه وخيرَ ما صُنِع له وأعوذُ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنِع له) رواه أبو داود والنسائي وإسناده صحيح وقال الترمذي حديث حسن.

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ لَبِسَ ثوبًا فقالَ : (الحمدُ للهِ الَّذي كَسَانِي هذا ورزقنِيه مِن غيرِ حولٍ منِّي ولا قوَّةٍ) : غُفِرَلهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ) [71].

وعن عمربن الخطابِ رضي الله عنه أنه كان جالسًا يومًا في جمْعٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذ دعا بقميصٍ جديدٍ فلبِسَه ، فما أحسبُه بلغ تراقِيَهُ حتى قال : (الحمدُ للهِ الذي كساني ما أُواري به عورَتي ، و أتجمَّلُ به في حياتي) ثم قال : رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لبِسَ ثوبًا جديدًا ، فقال ما قلتُ ، ثم قال : (والذي نفسي بيدِه ، ما من عبدٍ مسلمٍ يلبَسُ ثوبًا جديدًا ، ثم يقولُ مثلَ ما قلتُ ، ثم يعمِدُ إلى سملٍ من أخلاقِه الذي خلع فيكسوه إنسانًا مسلمًا لا يكسوه إلا للهِ تعالى لم يزلْ في حِرزِاللهِ ، وفي ضمانِ اللهِ ، وفي جَوارِاللهِ ما دامَ عليه منه سلكٌ واحدٌ حيًّا وميِّتًا) [72].

ورواه الترمذي بلفظ (مَن لَبِسَ ثوبًا جديدًا، فقال: الحمدُ للهِ الَّذي كساني ما أُواري به عَوْرتي، و أتجمَّلُ به في حياتي، ثمَّ عمَدَ إلى الثَّوبِ الَّذي أَخْلَقَ فتصدَّقَ به؛ كان في كنَفِ اللهِ، وفي حفْظِ اللهِ، وفي سِتْرِاللهِ، حيًّا وميِّتًا) .

8/ الحمد في مفتتح خطبة الحاجة : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُعلِّمُنا خُطبةً من خُطبةِ الحاجةِ، وخُطبةَ الصَّلاةِ: الحَمدُ للهِ -أو: إنَّ الحَمدَ للهِ- نَستَعينُه ونَستَغفِرُه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِأنْفُسِنا، مَن يَهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه. ثمَّ قَرأَ هؤلاءِ الآياتِ الثَّلاثَ: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102]، ثمَّ قرأ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

71- أخرجه أبو داود والترمذي وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره - ح رقم (2042) . (الموسوعة الحديثية – الدرر السنية).

72- حسنه ابن حجر العسقلاني في نتائج الأفكار (الموسوعة الحديثية – الدرر السنية) .

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...) [النساء: 1] الآيَةَ، ويَقرأُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا...} [الأحزاب: 70] الآيَةَ) **ثمَّ يَتكلَّمُ لحاجَتِه كذا** . رواه أبو داود و سكت عنه - فهو حسن - والنسائي وصححه النووي في الأذكار.

*** * * * * ***

/9 الحمد عند رؤية مبتلى : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا إلا لم يصبه ذلك البلاء) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

/10 الحمد عندما تتجدد النعمة على العبد : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أنعم اللهُ على عبدٍ نعمةً فقال الحمدُ للهِ إلا كان الذي أعطاهُ أفضلَ مما أخذ) [73].

/11 الحمد مقرونا بالاستغفاروالتهليل عند القيام من المجلس الذي يكثرفيه اللغط : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : (من جلس في مجلس فكثرفيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك إلا غفرله ما كان في مجلسه ذلك) قال الترمذي حديث حسن صحيح .

/12 الحمد بعد العطاس : لما رواه أبوداود بإسناد صحيح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال وليقل أخوه أو صاحبه يرحمك الله ويقول هويهديكم الله ويصلح بالكم).

وفي جامع الترمذي عن ابن عمرأن رجلا عطس إلى جنبه فقال الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله فقال ابن عمررضي الله عنهما :و أنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن أن نقول : (الحمد لله على كل حال) .

/13 الحمد مقرونا بالتكبيروالاستغفارعند ركوب الدابة : وذلك لما رواه أهل السنن بالإسناد الصحيح عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتي بدابة ليركبها فلما

73- أخرجه ابن ماجه (3805) واللفظ له، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (1357) باختلاف يسير، والبيهقي في شعب الإيمان - (4403) مختصراً، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه .

وضع رجله في الركاب قال : (بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله الذي سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبرثلاث مرات ثم قال سبحانك ظلمت نفسي فاغفرلي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ثم ضحك فقال فقلت يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت قال :(إنَّ ربَّكَ سبحانَهُ يعجَبُ من عبدِهِ إذا قالَ: اغفِرلي ذنوبي يعلمُ أنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ غيري).

*** * * * * ***

14/ الحمد عند رؤية المسلم لما يحبه أو ما يكره : لما رواه ابن ماجه في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم(إذا رأى ما يحبه قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال الحمد الله على كل حال) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد .

15/ الحمد في صعيد عرفات : لما رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه قال كان أكثردعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في المو اقف (اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرمما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مالي ولك رب تر اثي اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدروشتات الأمر اللهم إني أعوذ بك من شرما تجيء به الريح) .

16/ الحمد لله والثناء عليه قبل الدعاء : لحديث : ابن مسعود رضي الله عنه رضي الله عنه قال : كُنْتُ أُصَلّي والنبيّ صلى الله عليه وسلم و أبُو بكرٍ وعُمَرُ معه ، فلما جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثناءِ على الله ، ثم الصّلاةِ على النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم دَعوْتُ لنَفْسِي ، فقال النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (سَلْ تُعْطَهْ . سَلْ تُعْطَهْ) [74].

وعن فَضَالَة بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه أنه سَمِعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجّدِ الله وَلَمْ يُصَلّ عَلَى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : عَجِلَ هَذَا . ثُمّ دَعَاهُ فَقَالَ - لَهُ أوْلِغَيْرِهِ - : (إذا صَلّى أَحْدُكُمْ

74- رواه الترمذي ، وقال : حسنٌ صحيح . وأخرجه بنحوه : الإمام أحمد و ابن خزيمة و ابن حبان والحاكم والنسائي في الكبرى . وصححه الألباني والأرنؤوط(الموسوعة الحديثية – الدرر السنية) .

فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبّهِ وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمّ يُصَلّي عَلَى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثُمّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شاء)[75] .

والمراد بهذين الحديثين أن من آداب الدعاء : البداءة بحمد الله تعالى وشكره ، وذكر بعض أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، والاعتراف بين يديه سبحانه وتعالى بالذل والفقر إليه، لتكون هذه الكلمات تمهيدا لسؤاله عزوجل ، فهو سبحانه يحب من عبده التذلل إليه ، والاعتراف بعظيم نعمه وجليل فضله ، فإذا قدَّم العبد صدق التذلل ، ثم أتبعه بصدق الدعاء والمسألة ، كان ذلك أدعى لإجابة الدعاء .

ومَن يتأمّل الأدعيةَ الواردة في الكتاب والسنة يجد كثيراً منها مبدوءاً بالثناء على الله وعدِّ نِعمه وآلائه ، والاعتراف بفضله وجوده وعطائه ، ومن الأمثلة على ذلك الدعاءُ العظيم الذي اشتملت عليه سورة الفاتحة التي هي أعظم سور القرآن الكريم وأجلُّها (اهدنا الصراط المستقيم)

فهذا الدعاءُ العظيم مبدوءٌ بالثناء على الله وحمده وتمجيده ، مما هو سببٌ لقبوله ، ومفتاحٌ لإجابته .

قال ابن القيم رحمه الله : ولما كان سؤال الله الهدايةَ إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب ، ونيلُه أشرفَ المواهب ، علّم الله عبادَه كيفيةَ سؤاله ، وأمرهم أن يقدِّموا بين يديه حمدَه والثناء عليه وتمجيدَه ، ثمَّ ذكر عبوديتهم وتوحيدهم ، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم ، توسلٌ إليه بأسمائه وصفاته ، وتوسلٌ إليه بعبوديته ، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يُردُّ معهما الدعاء ... إلى أن قال رحمه الله : وقد جَمعت الفاتحة الوسيلتين ، وهما التوسلُ بالحمد والثناء عليه وتمجيده ، والتوسلُ إليه بعبوديته وتوحيده ، ثمَّ جاء سؤال أهم المطالب و أنجح الرغائب ، وهو الهداية بعد الوسيلتين ، فالداعي به حقيقٌ بالإجابة [76].

17/ الحمد مقرونا بالثناء والدعاء بعد الهزيمة في المعركة : وذلك لما ورد عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه أنه قال : لما كان يومُ أحدٍ و انكفأ المشركونَ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (استَووا حتى أُثنِيَ على ربِّي فصاروا حلقةً صفوفًا فقال : اللهمَّ لك الحمدُ كلُّه اللهمَّ لا قابضَ لما

75- رواه الإمام أحمد و أبو داود والترمذي و ابن خزيمة والحاكم ، وصححه على شرط مسلم ، ورواه ابن حبان . وصححه الألباني والأرنؤوط (الموسوعة الحديثية – الدرر السنية) .

76- كيف يكون تمجيد الله والثناء عليه قبل الدعاء - موقع الإسلام سؤال وجواب .

بسطتَ ولا باسطَ لما قبضتَ ولا هاديَ لما أضللتَ ولا مضلَّ لمن هديتَ ولا معطِيَ لما منعت ولا مانعَ لما أعطيتَ ولا مقربَ لما باعدتَ ولا مبعدَ لما قربت اللهمَّ ابسطْ علينا من بركاتِك ورحمتِك وفضلِك ورزقِك اللهمَّ إني أسألُك النعيمَ المقيمَ الذي لا يحولُ ولا يزولُ اللهمَّ إني أسألُك النعيمَ يومَ الغلبةِ والأمنَ يومَ الخوفِ اللهمَّ عائذٌ بك من شرِّما أعطيتنا وشرِّما منعت منا اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنْه في قلوبِنا وكرِّهْ إلينا الكفرَوالفسوقَ والعصيانَ واجعلنا من الراشدينَ اللهمَّ توفَّنا مسلمين وأحيِنا مسلمينَ وألحقنا بالصالحينَ غيرَ خزايا ولا مفتونينَ اللهمَّ قاتلِ الكفرةَ الذين يُكذِّبون رسلَك ويصدون عن سبيلِك واجعلْ عليهم رِجزَك وعذابَك اللهمَّ قاتلْ كفرةَ الذين أوتوا الكتابَ إلهَ الخلقِ) [77].

18/ الحمد مع الاسترجاع عند فقدان الولد سبب في بناء بيت في الجنة : فعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن .

قوله : (فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده) هو كناية عن الولد لكونه بمنزلة خلاصة الخلاصة إذ القلب خلاصة البدن وخلاصته اللطيفة المودعة فيه من كمال الإدراكات والعلوم التي خلق لها وشرف بشرفها , فلشدة شغف هذه اللطيفة بالولد صاركأنه ثمرتها المقصودة منها ،وهو ترق بين به وجه عظمة هذا المصاب وعظم الصبر عليه من ذلك , بل ترقي عن مقام الصبر لمقام الحمد .

قوله : (حمدك) أي قال مترقياً عن مقام الصبر إلى مقام الرضا الحمد لله (واسترجع) أي قال : إنا لله إليه راجعون امتثالاً لقوله تعالى (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) سورة البقرة (156).

*** * * * * ***

77- قال في مجمع الزوائد (رجاله رجال الصحيح) - (124/6) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد – حديث رقم (538) -الموسوعة الحديثية – الدرر السنية .

المبحث السابع

قصص الذين حمدوا الله تعالى فى السراء والضراء

هذه القصص لبعض عوام المؤمنين الذين حمدوا الله على عطائه ورضوا بابتلائه فعاشوا سعداء هانئًا بنفس قانعة راضية ، بالرغم من تنوع قصصهم واختلافها من فرد لآخر فسنجد في تلك القصص رقيق الحال والمريض ومن يعاني الفقروالديون كما سنجد من أعطاه الله من النعم الكثير فكان حامدا شاكرا ، فالجامع بينها هو الرضا والشكروالثناء على الله تعالى .

القصة الأولى : مريض كبيرفي السن يبكي بعد الشفاء لتقصيره في حمد الله تعالى :

يقول أحد الشباب : أصيب رجل كبيرفي السن بمرض حبس البول وكان له أولاد فأخذوه الى الطبيب فقام باتخاذ اللازم واستطاع إخراج البول المحتبس بداخلة ، وقام أبناء الرجل المسن بشكرالطبيب لانة أسطاع شفاء والدهم من المرض .

وعندما قام الابناء بذلك التفت الابناء الى والدهم المريض واذا به يبكى بكاء شديداً فأستغربوا وسالوه لماذا تبكى ..؟

فقال لهم والدهم أنتم قد قمتم بشكر الطبيب على مساعدتة لى وأنه قد قام بمساعدتى بالفعل مرة واحدة . وعلى عكس حالي طوال الثمانين عاماً يمن الله عليَّ من فضلة ونعمة التى وهبها لنا ولم أكن أشعربها ولا أحسن ستخدامها ولا أحسن الشكروالحمد لله .فقالوا جيعهم فى هذه اللحظة الحمد لله الذى اعطانا من غيرحول منا ولا قوة .

*** * * * * ***

القصة الثاني : قصة أبي قلابة الذي حمد الله على البلاء :

عن عبد الله بن محمد قال: كنت مرابطاً بعريش مصر فمررت على خيمة فإذا أنا برجل ذهبت يداه ورجلاه، وبصره، وثقل سمعه، فسمعته يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:19]، فقلت: سبحان الله! ما هذا الذي يقوله الرجل، أعلمٌ علمه؟ والله لآتين هذا الرجل، فأتيته فقلت: يا عبد الله! سمعتك تقول كذا وكذا، أي شيء تحمد الله عليه، قال: يا عبد الله! لو أرسل الله الجبال

فدمرتني، وأرسل إلي البحر فأغرقني ما ازددت لربي إلا شكراً على هذا اللسان الذاكر، وهذا القلب الشاكر.

ثم قال: إن لي ولداً كان يوضئني، وكان يطعمني ويقوم على أمري وقد افتقدته منذُ ثلاثة أيام فابحث لي عنه، فقلت: والله ما سعى إنسان في حاجة آخر أفضل منك، قال: وذهبت أبحث عن الولد، فما مضيت غير بعيد إلا ووجدت عظامه بين كثبان من الرمل قد افترسه سبع.

قال: فركبني الغم، وقلت: ماذا أقول للرجل، وهو في هذا البلاء العظيم؟ قال: فجعلت أفكر ماذا أقول له، فتذكرت أيوب عليه السلام قال: فجئت فسلمت عليه، قال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: ما فعل ولدي، قلت يا عبد الله! أتعرف أيوب عليه السلام؟ قال: نعم. قلت: ما تعرف عنه؟ قال: ابتلاه الله ثمانية عشر عاماً، قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابراً، وليس هذا فحسب إنما ابتلاه بأهله وابتلاه بماله، فوجده صابراً، فقل ماذا تريد؟ قلت: احتسب ولدك، فإني وجدت عظامه بين كثبان الرمل، قال: فشهق شهقةً وقال: الحمد لله الذي لم يخلق مني ذريةً إلى النار ومات.

قال: فركبني غم، وقلت: ماذا أفعل بالرجل؟ فلا أملك له شيئاً، إن تركته أكلته السباع، فمر قطاع طرق، فوجدوني أبكي بعدما سجيته فقالوا: مالك وما قصتك، ومن هذا الرجل، فكشفوا عنه فإذا هو أبو قلابة الجرمي، فقال أحدهم : بأبي عينٌ طالما غضت عن محارم الله وبأبي جسمٌ طالما عانا في طاعة الله، قال: فسجيته ودفناه، وذهبت إلى رباطي، فلما نمت رأيته في منامي في أحسن حالة، فقلت له: ألست بصاحبي؟ قال: بلى.

قلت: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة، وقيل لي: سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار[78] .

*** * * * * ***

القصة الثالث : فقير يحمد الله تعالى بعد ما رأى مَن هو أفقر منه :

يحكي أن رجلا فقيرا فى العيد رأي الجميع يأكل لحمة ذهب إلى بيته فوجد زوجته قد اعدت "فول نابت" وتقول له : كل عام و أنت بخير !! جلس ليأكل الفول ويلقي قشرة من الشباك ويحدث نفسه في صمت " الجميع اليوم يأكل اللحم ! و انا الأن أأكل فول ؟! نزل الفقير من منزله ورأي

78- هذا قصة رواها الإمام ابن حبان في كتاب الثقات.

مشهد لم ينساه قط ! رجل جلس أسفل شباك بيته يجمع فتات قشر الفول وينظفه و ياكله! ويقول: الحمد لله الذى رزقنى من غير حول منى ولا قوه .!!!فقال الفقير" رضيت يارب .. يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك " .

*** * * * * ***

الخاتمة

قصائد في حمد الله والثناء على الله تعالى

قال الفقيه الإمام بن حزم الأندلسي :

لك الحمد يا رب والشكر ثم   لك الحمد ما باح بالشكر فمْ

لك الحمد في كل ما حالة   فقد خصني منك فضل وعمْ

من الماء أنشأتني نطفة   ومن بعد ذلك لحم ودمْ

وأسكنت في جسدي روحه   وأجعلتها في طباق الرحمْ

وأخرجتني بعد في عالمي   وبلغتني درجات الفِهمْ

فمنك لي البصر المقتفي   وسمع وذوق ونطق وشمْ

وحس صحيح وتميز ما   خلقت بأنواعه من أممْ

ومكنتني من فنون العلوم   ببادي الكلام وخط القلمْ

وعلمتني الحكم في هل وما   وأطلعتني طلع كيف ولمْ

وحد الحقائق ميزت لي   من الباطل المتقى في الكلم

ببرهان صدق يليح اليقين   وينفي المحال ويبدي الحكم

ويوفي بيان اسمه   ويحتد بالوصف ما لم يسم

***   ***   ***

وقال الشيخ عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني :

لَك الحَمد حمدا نستلذ به ذكرا   وان كنت لا أَحصي ثناء وَلا شكرا

لَك الحَمد حَمداً طَيبا يَملأ السَما وَ أَقطارها وَالأَرض وَالبروَالبَحرا

لَك الحَمدُ حَمد اسرمدبا مُباركا يقل مداد البحرعن كتبه حصرا

لَك الحمد تَعظيما لوجهك قائما يخصك في السراء منى وَفي الضرا

لَك الحمد مقرونا بشكرك دائما لَك الحمد في الاولى لك الحمد في الاخرى

لَك الحَمد حمد اطيب أَنتَ أَهله عَلى كل حال يشمل السروالجهرا

لَك الحمد موصولا بغيرنهاية وَ أَنتَ الهى ما أَحق وَما أحرى

لَك الحمد يا ذا الكِبرياء ومن يكن بحمدك ذا شكرفقد أحرزالشكرا

لَك الحمد كم من عثرة قد أقلتنا ومن زلة أَلبستنا معها سترا

لَك الحمد كم خصصتني ورفعتني عَلى نظرائي من بَني زَمَني قدرا

لَك الحمد حمدا فيه وردى وَمشرعي اذا خابَت الآمال في السنة الغبرا

لَك الحمد حَمدا ينسخ الفقربالغنى اذا خرت يا مَولاي بعد الغنى فقرا

***   ***   ***

وقال العلامة السعدي في مقدمة منظومة القواعد الفقهية :

الحمدُ للهِ العليّ الأرفقِ وجامعِ الأشياءِ والمفرّقِ

ذي النّعمِ الواسعةِ الغزيرة والحِكَمِ الباهرةِ الكثيرة

***   ***   ***

اللهم إني أسألك من الخير كلِّه عاجله وآجلِه، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلِّه عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ بك عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كلَّ قضاء قضيتَه لي خيرًا [79].

تمَّتْ ولله الحَمْدُ والمنَّةُ

*** * * * * ***

79/ أخرجه ابن ماجه رقم: (3846) وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة رقم: (1542) .